

Mushkitat

PJ
6071
T3
1900z

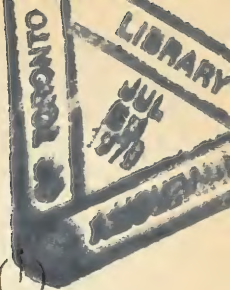


PJ
6071
T3
1900z



Purchased for the
University of Toronto Library
from the
FRIENDS OF THE LIBRARY FUND

من مؤلفات «محمود تيمور»



(د) رحلات :

- ١ — أبو الهول يطير
- ٢ — شمس وليل
- ٣ — جزيرة الجيب

(هـ) قصص تمثيلية :

- ١ — صقر قریش
- ٢ — سهاد أو اللحن التائه
- ٣ — المنقذة وحفلة شاي
- ٤ — الخبأ رقم ١٣
- ٥ — المزيفون
- ٦ — فداء
- ٧ — اليوم خير
- ٨ — ابن جلا
- ٩ — قنابل
- ١٠ — حواء الخالدة
- ١١ — طارق الأندلس

(و) دراسات لغوية وأدبية :

- ١ — مشكلات اللغة العربية
- ٢ — دراسات في القصة والمسرح
- ٣ — طلائع المسرح العربي
- ٤ — اتجاهات الأدب العربي
- ٥ — القصة في الأدب العربي
- ٦ — معجم الحضارة (قاموس)

(أ) مجموعات قصصية :

- ١ — كل عام وأنتم بخير
- ٢ — مكتوب على الجبين
- ٣ — شفاه غليظة
- ٤ — إحسان لله
- ٥ — انتصار الحياة
- ٦ — قال الراوي
- ٧ — أبو الشوارب
- ٨ — دنيا جديدة
- ٩ — تمرحنا عجب

(ب) قصص مطولة :

- ١ — كيلوباترا في خان الخليلي
- ٢ — ساوى في مهب الريح
- ٣ — نداء المجهول
- ٤ — شمروخ
- ٥ — معبود من طين

(ح) صور وخواطر :

- ١ — ملامح وغضون
- ٢ — النبي الإنسان
- ٣ — شفاه الروح
- ٤ — عطر ودخان

فهرست الكتاب

صفحة

- ١ - قضية اللغة العربية ٣
- ٢ - لغة المجتمع ٢٣
- ٣ - ضبط الكتابة العربية ٣٩
- ٤ - سلطان اللغة العربية ٧٥
- ٥ - كلمات الحياة العامة ٩٧
- ٦ - مواليد جديدة ... في لغة الحياة العامة ١٣٣
- ٧ - العامية ... الفصحى ! ١٥٧

(١٢)

إن بين العامية والفصحى ستاراً موهوماً ، علينا أن نجعلوا
غشاً وَاوْتَه عن العيون . وليس من خير الفصحى أن تقوم بينها
وبين العامية هذه العُرْلَة المَوْحِشَة ، فنحن نقبض من
اللغات الأجنبية كلمات معرّبة ، ونترجم منها تعبيرات لها دلالة
خاصة ، وفاءً بحاجات الحياة العصرية ، وإغناءً للبيان العربي
بالطيب من ثمرات اللغات . فما أحرانا أن نفتتح الباب على
مضراعيه لكلماتنا العامية تفتح ميادين الكتابة والتدوين .
وما هذه الكلمات إلا « مصنوعات وطنية » ، نسجت من خيوط
عربية ، وصقلتها السنة العربية ، وأصبحت لنا بها ألفة وأنس .
وهي إذا داجت الفصحى أكسبتها مزيداً من الدقة والوضوح ،
وأفاضت عليها مرونة واستجابة للحياة المتجددة .

لقد جئنا على هذه الكلمات تسميتها بالكلمات العامية ،
لاقتصاراً استعمالها على السنة العوام ، واختصاصها بلغة التخاطب
والحديث ، فلمعرف لها حقها في العربية ، ولتجنّبها أقلام
الكرام الكاتبين دون تحرّز ، ولتسميتها : العامية المفضحة

أو تقول : البنت مُلحمة . يدها مُدْمِكة . غسِمت
البياضات . وقفت تنثر الغسيل ، ساعة الصَّبْحِية . هي تحب
تلبس المحزَّق . حضرت سُبوع جارتها . قلعت في اليوم ثلاثة
غيارات . راحت لأختها تقول لها : صباحية مباركة .
كذلك من الأمثلة أن يقال :

ضاعت فردة حلق . طارت فردة حمام . الثوب كله هباب .
المفتاح غطس . الأرض نشفت . قبض عرقه . تغدَّى بعيش
حاف . قعد يَوْحوح . خرج يُهرطم . راح يُهبش . كان عرقان .
فاضل عليه من السُّلفة تنايش . دخل من الباب البراني . طلع من
الباب الجواني . تعلم الفخفخة ، عينه رففت . حصل خير .

إلى عشرات من النظائر والأشباه ، مما له وقع في الإبانة ،
وتأثير في التعبير . ومتى عدل عنه الكاتب القصصا في روايته
أو مسرحيته ، فإنه يفلت من حق الأداء ، ويُخِل بالدلالة ،
ويحوم حول الهدف دون أن يواقعه .

على أن هذا الذي سُقِته من الأمثلة عربي كله ، وفي قليل
منه لون من التخصيص السائغ والتجاوز المباح .

عن المشاعر والأحاسيس ، ولا سيما حين يدور الحوار بين فئات
من الناس مغرقة في السُّوقِية ، متغلغلة في المحيط الشعبي ، وحين
تظهر شخصياتها على مَنْصَةِ المسرح ، في أزيائها البلدية ، وفي هيئاتها
المتميزة ، لكي تتناول الحديث .

ومن أمثلة ذلك أن يتحاور رجل وامرأة ، فتقول المرأة
فيما تقول :

يا مدعوق . ياموكوس . يا بايخ . يا خباص . يامسـخوط .
خصـلـتـك وحشـة . كلامك عيال . وانت مالك ؟
أيش حشرك ؟ ما لعقلك ؟ دائماً تحب تلـك ؟
فيجيبها الرجل فيما يجيب :

اسكتي يا محرمة . زهـقتـني . طلـعتـ رـوحـي . سدّيت
نفسـي . يا حفيظ . كلامك يُنشِفُ الرِّيق . انجـرّـي من قدّامـي
لا ألعن لك أسلافك . كفايه . هـس . بس .
ومن الأمثلة أن تقول إحدى النساء :

يا ضـمـاي . حاسب لا تقع . اسمُ الله عليك . المحروس
اسمـه محمد . عاشت الأسمـى . ولد حرك . طالع لحاله .

إنه المنازعة أو المشاحنة أو المشادة أو المجادلة ، فكل لفظ من هذه الألفاظ على حدة لا يقوم بمعنى المناكفة على جهة التحديد . واللغة تقول : ناكفه الكلام مناكفة : عاوره إياه ، أى : قابله بمثل كلامه . وتناكفوا الكلام : تعاوروه . فهذا التفسير اللغوي المعجمي ، الجامد المائع ، ينتفض حيوية على ألسنة الناس ، وتشكل له صورة معيشة ، إذ يعبرون به عن خلة من خلال بعض الناس فيما يتناولون من الشؤون ، ويصفون به حالة من المناقشة العسيرة تعرض بين اثنين ، وتقابل التسامح والتساهل والمياسرة .

(١١)

وإن ساغ لكاتب متأنق أن يترفع عن مشاكلة العامة فيما يتناقلون من هذه الكلمات والتعبيرات ، على فرط الحاجة إليها ، وأن يستجيد من كلمات الفصحى كل شريف ، أو كل طريف ، فالكاتب الروائي أو القصصي له شأن غير هذا الشأن ، وهدف غير ذلك الهدف ، إذ هو أحوج ما يكون إلى اصطناع كلمات وتعبيرات عامية في الوصف والتصوير ، وبخاصة في مساق الحوار . فهي ذات دلالة تأثيرية خاصة في النداءات والأدعية والأجوبة ، وفي الإعراب

لا نكاد نجد كلمة واحدة تنفذ إلى النفس بكل ما تنفذ به كلمة «حقانى» في غير زيادة أو نقص... و «الحقانى» في اللغة المنسوب إلى الحق ، وقد جاءت الكلمة على صيغة النسب مع الألف والنون ، وهي صيغة وردت عليها كلمات ككثار ، منها هذه الكلمة العامية الحافلة بجلائل المعانى . ويقول العامة في وصف المصباح إنه «مُدْخَمْس» أى أن ذبائله أو فتيلته ليست مرفوعة بارزة تأخذ من النار قدراً كبيراً فتبعث ضوءاً قوياً ، ويقولون في الأمر بذلك : دَخَمْسُهُ ، أى اهبط ذبائله حتى يقلّ ضوءه . ولو أردنا أن نعبّر عن هذا المعنى بكلمات فصيحجة لقلنا : مصباح ضوءه خافت ، أو شحيح ، أو ضعيف . والمصباح قد يكون خافت الضوء وشحيحه وضعيفه ولا يكون مدخمساً بهذا المعنى الدقيق . فأى ضمير علمينا فى أن نستعير كلمة «الدخمس» ، واللغة تقول : دخمس الرجل : لم يمين مراده ، ودخمسه : خدعه ، وأمر مدخمس : مستور ، ولا شبهة فى أن حمل المعنى العامى على هذه المعانى الفصحيجة لا تضيق به رسوم علم البيان .

ويقول العامة : هذا رجل منا كف ، فالشارى ينا كف البائع ، والزوجة تنا كف الزوج ؛ يعنون بالمنا كفة ما لا أستطيع أن أقول

أنه جاهد وكافح في أمر فلم يبلغه ، ويمكن التعبير عن هذا المعنى الذى
بؤدى بفعل واحد بجمل كثيرة فصيحة ، فنقول : استنفذ جهده ،
وبذل كل حيلة ، ولم يترك وسيلة ، ولم يدخر من وسع . كذلك
يمكن التعبير بفعل واحد ، وهو : أعيا ، ولكن فعل « غلب »
المبنى للمجهول يتمحّضُ لمعناه العامى تَمَحَّضاً قوياً ، إذ يثير
فى الذهن صورة مجاهد مجالد ، خرج من معركة البحث والمعاناة ،
ظال يغالب حتى غلب . والغرضُ البلاغى فى هذا ناصع الجبين .
ويرى العامة الرجل يقف على أطراف أصابعه لتطول قامته ،
فيقولون : هو يشبُّ ، وما أدرى أى الفصحى كلمة واحدة تؤدى هذا
المؤدّى ؟ ولكننى لا أى بأساً بأن نأخذ الكلمة العامية ، فالشَّبُّ فى
اللغة : الارتفاع ، وشبَّ الفرس : رفع يديه . فلنُجر على أقلامنا
« شبَّ » بمعنى وقف على أطراف أصابعه ، ولنسجل فى معجم العربية
الحديث ما لحق الكلمة من تطور فى المعنى يمنحُ بها إلى التخصيص .
ويصف العامة الرجل بأنه « حقّانى » فإذا حاولنا ترجمة هذه
الكلمة إلى العربية ، لم نَعُوْزْنا الجُمْلَ ، فنقول : هو طاهر الذمة ،
أو دقيق المعاملة ، أو مؤد لما عليه ، أو لا يأكل حق أحد . بيد أننا

ونتجسّر على أنفسنا ، والمعجمات تثبت من التعبيرات الماثورة :
«إياك والخطب فإنها مشوار كثير العُشَار» ، و«انظر إلى الدابة كيف
مشوارها؟ أى : كيف سيرتها...» ، فكلمة «المشوار» لها فى اللغة أصل
وأساس ، ورعى لهذا الأصل وبناء على هذا الأساس ، يجوز لنا أن
نصبغ الكلمة بصيغة المعنى الحديث الذى يستعملها فيه خلقُ الله .
وإذا أراد العامة التعبير عن صيحة لها نبرات خاصة ، تطلق عند
مفاجأة مفرقة ، أو عند وقوع كارثة ، أو فى المآتم عامة... قالوا :
الصـوات ، واستعملوا فعل : صوتَ . ولو أننا استعضنا بكلمة
الصراخ أو الصياح أو اللولولة أو الندب لما أدّت واحدة منها أو
مجموعها ذلك المعنى الخاص ، فقد تصرخ المرأة أو تصيح أو تولول
أو تندب دون أن يكون ذلك «صَوَاتاً» بـدلوله الدقيق ، وقد تفعل
ذلك كله دون أن تكون قد «صَوَّتَتْ» بالمعنى المعروف . واللغة
تسجل فعل : صَوَّتَتْ ، ولا ابتداع فيه . وأما «الصـوات» فإنه
يجرى على وزن فُعَال ، وهو وزن صرْفِيٌّ مأنوس ، ينقاس عليه
الكثير من أسماء الأصوات .

ويقول العامة : «فلان مُغلب» على صيغة البناء للمجهول ، يعنون

أو من يَحْمِلُهُمْ ونهم في المحافل للرقص والغناء ، وهذا من العادات الاجتماعية التي كانت معروفة منذ أقدم العهود ، وقد أطلق العرب كلمة « النُّشَار » على ما يُنْشَرُ في العُرْس على من حَضَرَ ، فكلمة النُّشَار لا تشمل مدلول « النقطة » كله ، فتارة تكون « النقطة » نَشَاراً لمن يُحْيِيُون الحفل البهيج بالطرب والإيناس ، وطوراً تكون إهداءً للعروسين ومن إليهما من أصحاب الأفراح والليالي الملاح . على أن معنى « النقطة » قريب من معنى النُّشَار في اللغة ، والعرب يقولون : تَقَطَّطَ الخبر : جاء به شيئاً بعد شيء ، وَتَعَنَّقَتِ الأرض : ظهر فيها تَقَطُّطٌ من عُشْب . وإذن في إطلاق كلمة « النقطة » في تسمية تلك العادة الاجتماعية إطلاق لا يمارى فيه لغوى ذوقه سليم .

ويستعمل الامة كلمة « المشوار » في معنى مدى السير والنقطة من مكان إلى مكان . فيقولون مثلاً : بين البيت والمدرسة مشوار ، أى بينهما بُعد معلوم ، وهم كذلك يَكْنُون بكلمة « المشوار » عن المهمة ، فيقولون : وراءه مشوار ، أى عليه أن يؤدي مهمة بالسير إلى جهة معينة . فهل تؤدي كلمة « الرحلة » أو « المسافة » هذا المعنى بخلافه ؟ وهل تسوغ كتابتهما أو إحداهما في التعبير ؟ وما لنا نتضايق

معنى النظر مجاز ، والتبصيص في معاودة النظر لا يمنع منه مانع .
وما دامت البصيرة تحمل معنى فتح العين والتلويح والتحريك فاتخاذها
للمعنى العامي تخصيص سائغ .

ويفرق العامة بين الحلة ، والقِدْرَة . فالحلة الإِناء يطبخ
فيه ، والقِدْرَة شبه الجِرَّة لطهو الفول أو كحزن السمن أو لغير ذلك
من الشئون . فشئنا نحن الكتاب الكرام أن نكون فصحاء متحرزين ،
وسمئنا وعاء الطبخ قدرا ، فلم نُحْسِن ، إذ القِدْر لها دلالة
معينة ، ولها شكل خاص . . . واستعمال الحلة في معنى إناء الطبخ استعمال
مصرى ليس بجديد ، فقد سجل بعض اللغويين أنه كان شائعاً في مصر
منذ مائتين من السنين ، واللغة لا تغضب على استعمال الحلة في معنى
وعاء الطبخ ، فمن معانيها أنها الوعاء مطلقاً ، ولاضير على من
يخصص ، والويل كل الويل للغة يعوزها التخصيص للفهم والإفهام .
وقد اتخذ العامة كلمة « النُّقطة » لشيء خاص في مجتمع الناس ،
ذلك هو أن يتلقى العروسان ألواناً من الهدايا والألطاف في مناسبة
الزواج ، وقد يجرى ذلك في محافل البهجة ، وفي المناسبات السارة ،
نحو الولادة أو الحتان ، فيقبل « النُّقطة » أصحاب تلك المناسبات ،

باش الصابون أو الخبز اليابس ، أى تخلله الماء فذهب عنه السيئ .
 وساح الزبد أو الرصاص ، أى تحلل بالحرارة والتسخين حتى صار
 مائعا . وذاب السكر أو الملح : تَزَايَلَ عنه كيانه ، واختلطت
 بالسائل ذراته . وليس بمفهوم عنك ، ولا متقبَّل منك ، أن تستعمل
 إحدى هذه الكلمات الثلاث مكان الآخرَين ، فلو قلت : باش
 السكر ، لم تؤدِ معنى الذوبان ، ولو قلت : ساح الصابون أو ذاب
 الزبد جلبت على نفسك السخرية ، ولكنت ركيك التعبير غير
 عيين . والفصحى تقول : باش القوم : اختلطوا ، وساح الماء :
 جرى ، وذاب : جمد . فهذا التخصيص العامى يأوى من
 العربية إلى ركن شديد .

ويفرق العامة بين : بَصَّ ، وَتَبَّصَّ ، وَبَصَّبَصَّ ،
 فيستعملون « البصَّ » لمطلق النظر ، و« التَّبَّصُّصُ » للنظر المتلاحق
 يمتنه ويسره ، و« البصبصة » لمعنى خاص دقيق هو النظر إلى المرأة
 على جهة التملُّ والاستمتاع ، أو المعاكسة والتغزل . واللغة تقول :
 بَصَّ : برق ولمع ، وَبَصَّصَّ : فتح عينيه وحركهما ، وبصَّبص :
 بمعنى بَصَّصَ ، وبمنى لوَّح ، وبمنى تحريك الظباء أذنانها . فالبصَّ فى

قَدِيدُ بنات الشَّفاه من ولائدِ العامية ، وإن هذه المومودات لا تدرى كيف مُتَجَيِّب إذا هي سُئِلَتْ : بأى ذنب مُقْتِيلَت ؟ لستُ أدرى بأى حَقِّ ساغ لنا قبولُ التطور فى معانى الألفاظ ودلالاتها على أقلام الكتاب والأدباء فى مختلف عصور العربية ، عما سميناه « التوليد » ، وعزَّ علينا أن نقبل مثل ذلك من تعبيرات أمة فى مجتمع حى ، لم تتخذ لها لساناً آخر غير العربية ، ولم تجنح فى تطويرها لمعانى الألفاظ ودلالاتها إلى غير مناهج اللسان العربى .

وليتنا كنا إذْ نعزف عن بعض كلمات العامية نعزف عن استغناء ، إذ نؤثر ما بين أيدينا من كلمات الفصحى . فالحق أننا فى كثير من مقامات الكلام ، نجد الكلمة العامية أبينَ فى الدلالة ، أو أقوى فى التأدية ، أو أسرع فى التأثير ، أو أخَصَرَ فى العبارة ، أو لا نكاد نجد فى الفصحى ما يقابلها على الإطلاق . ونحن على الرغم من ذلك نتعالى بأقلامنا على الكلمة العامية ، ونستبدل بها من الفصحى ما نحاول به أن نسد الحاجة ، وإن كان البديل الفصيح لا يشفى ولا يكفى .

(١٠)

يفرق العامة بين الكلمات الثلاث : باش ، وساح ، وذاب ، فيقولون :

النفوس أجلىّ تعبير .

وذلك الباب من الكلمات العامة هو زُبدة خبرة بيانية بعيدة المدى ، عميقة الأثر ، وهو ثمرة تجربة اجتماعية لا بُسْتُها الأمة في أحقاب محدودة . وقد عُرِفَت هذه الأمة بذلاقة اللسان ، وذكاء القلب ، ورهافة الحس ، وأن لها كياستها ولباقتها في الأداء الحَسَنَ ، ولها ولُوعها بالتعبير الجميل . فاستعملاتها تقطير مصفى لما امتازت به من ذلاقة وذكاء ورهافة ، وهى مرآة مجلّوة لذوقها البيانىّ ، ومُظَهِّر واضح من فنّها التعبيرىّ .

ولو أننا عمدنا إلى هذه الزبدة المركزة ، وهذه الثمرة الطيبة ، فألحقناها بالبيان العربى ، واصطنعناها فى لغة الكتابة ، لأمدنا الفصحى بما يزيدها من قوة وفراة ، ولأكسبناها ثروة مُغْنِيها وتُزَيِّنُها على الأيام .

يَبْدَأُ أننا كرهنا هذه العامة أشدَّ الكره ، فَصَدَدْنَا عنها الكأس ، وأهدرنا حقها فى الحياة ، فما يَنْبَغُ نَابِسُ فى العامة يَبْذُرُ شَفَةَ ، إلا أنكرناها عليه ، وَأَيَّنَّاها منه ، ولم نطوِّعْ لأقلامنا أن تتقبلها بقبول حَسَنَ ، فكأننا بهذا الصنيع الجائر

من المتزمتين في اللغة أن يجادل فيه ، فالكلمات فصيحة يحتج
لفصاحتها معجم وثيق ، أو يشهد باستعمالها بيان أصيل ، أو يأذن
باتخاذها قياس من أقيسة الفصحى منعقد عليه الإجماع .

(٩)

وَتَسْمَةُ باب آخر أكبر من ذلك الباب سعة ، تزدهم فيه كلمات
عامية ، جُذُورُها عربية ، وصيغتها كذلك عربية ، ولكن الجديد
فيها هو تحديد الدلالة ، أو تخصيص المعنى ، أو إطلاق ما قيّد منه .
وهو في الجملة إشراب اللفظ مدلولاً مولداً لا يَسُدُّش عن مدلوله
الأصيل ، ولا يتنكر لمعناه القديم .

ولقد كان حقاً أن تحتل الألفاظ العربية على السنة العامة دلالات
جديدة ، وأن تسكتسى صبغة مجازية خاصة . فالناس يغوصون بألفاظهم
في ملتطم العيش ، ويصادفهم من الأدوات والأشياء ما ليس لهم به
عهد ، ويهجمس في نفوسهم من المعاني والصور ما تواترهم به استجاباتهم
للحياة ، ومن ثمَّ تخرج ألفاظهم من ربة الجود ، وتتصرف على
أسننتهم في حيوية ومرونة وطلاقة ، حافلة بالمعاني والدلالات ، لكي
تصف لهم ما تقع عليه الأعين أدق وصف ، وتعبّر لهم عما تتناجى به

ومن ذلك الحائِف بالأمانة ، فيقال : بالأمانة لتزورنى ، وأمانة
 ياليل تعطّف على الحبيب... وقد كان القسم بالأمانة فى أزهى عصور
 العربية ، سجلته بعض المعجمات ، وجاء فى قول «الأخوص» :
 ولقد نزلت من القواد بمنزل ما كان غيرك والأمانة ينزل
 ومن ذلك «الحُرْمَة» بمعنى الزوجة ، و«اللخْمة» بمعنى
 فقدان الخفة ، والكتابة «الناطقَة» بمعنى البينة الواضحة ، و«الطَّشاش»
 بمعنى ضعف الإبصار ، و«الرأس» بمعنى الشخص الفرد فى لغة القائمين
 على الحمامات . و«المرسال» بمعنى الرسول ، و«النَّهْمَة» بمعنى الهمة ،
 و«النَّفْس» بمعنى الرغبة ، وبمعنى العين الحاسدة ، و«شورّ له» بمعنى
 أوماً ، و«الصَّيْغَة» بمعنى الحلّى ، و«خرُّ بقّ» بمعنى أفسد ، و«الخِلْقة»
 بمعنى الطبيعة ، وبمعنى هيئة الوجه ، و«الأسامى» جمع اسم ،
 و«البالة» بمعنى الكيس ، و«القبْصة» بمعنى ما تتناوله بأطراف
 الأصابع من ملح ونحوه ، و«تعزّيل» الساكن بمعنى
 إخراج من مسكنه . إلى غير ذلك من كلمات فصيحة صحيحة تحيا على
 ألسنة الناس ، وإن كانت مَذْسِيَّةً فى لغة الكتابة والتدوين .
 هذا الباب الواسع من أبواب الكلمات العامية لا يستطيع أحد

فقد جاء في الجزء الأول من « زهر الآداب » على لسان الخليفة الشاعر « ابن المعتز » قوله : « وكان لنا مجلس حظ ... »

ومن العجيب في شأن هذا اللسان العامي أن فيه كلمات يسرع المرء إلى إنكار فصاحتها ، لأنها مفقودة أو نادرة في كتب الأدب وتراث العربية على وجه عام ، ولكن التنقيب في المعجمات ، وإنعام النظر في أوابد الشعر ، يُسفر عن وجود تلك الكلمات التي تدور على ألسن الناس حتى اليوم .

فمن ذلك كلمة « فَمَّ الغسيل » التي يراد بها المرة من غسل الثياب ، إذ يقال : غسلت الثوب فَمًّا أو فَمَمَيْن أو ثلاثة أفمام . فهذا التعبير فصيح يستفاد مما يساق في صدد كلمة « الفَمَم » من المعاني المعجمية لها ، حتى إن ضمَّ الفاء وتشديد الميم مما ورد في اللغة .

ومن ذلك كلمة « هَلَاهُب » التي يراد بها الدعاء والحث والإهابة ، وتتردد في الاستعانة على الحمل . فقد ورد هذا التعبير لذلك المعنى عينه بصور مختلفة تقرب من النطق العامي أو تبعد ، وحسبنا من أمثله الشعرية الكثيرة قول « مسكين الدارمي » :

كشَمُوس الخيل يبدو شغبها كلما قيل لها : هالِ وهَبْ

حملة الأقلام يعدلون إلى نظائر لهذه الكلمات الصحيحة ، فيقولون :
عائمة ، وبائع ، وسائى ، وخدام . وحين يقول الناس جميعاً : بَرَم
شاربه ، وتأمَّرَ عليه ، ومَلَّخَ ذراعَه ، وَتَرَّه ، وَسَيَّبَه . أو
يقولون : حوَّش المال ، وبَلَّطَ في أداء الدين ، وَبَرَّ طَلَّ المرتشى -
لا يطيب للكاتنين إلا أن يستبدوا بهذه الكلمات لا تمتاز عنها بشيء من
الفصاحة ، كأنما هم حراسٌ على تأكيد الفصل بين العامية والفصحى ،
وإن دعاهم ذلك إلى جحود الكلمات الصَّحاح .

ومن بين الاستعمالات فى اللسان العامى ما نتصيده فى نصوص
الأدب القديم ، وإن يكن غير شائع فى لغة الثقافة . فمن ذلك كلمة
« طيَّب » التى نستعملها فى مقام الموافقة ، فقد أورد صاحب « الأغانى »
فى الجزء الأول من كتابه حواراً جاء فيه سؤال قائل : هل لك فى
كذا ؟ فكان الجواب : طيب ياسيدى ... ومن ذلك كلمة « وجب » التى
تستعمل فى مقام الاستجابة ، وفى معرض الملاحظة ، فإن قارئ الشعر
يصادفها فى بيت لعمر بن أبى ربيعة ، إذ يقول :

إن كسنى لكِ رَهْمَنَ بالرَّضَا فاقبلى يا هندُ ، قالت : قد وجب
ومن ذلك استعمال « الحظُّ » بمعنى الطرب والبهو والأنس ،

كنت أستمع إلى إحدى الإذاعات . فقال المذيع : إن السقاة
امتنعوا عن نقل الماء إلى القوات المعادية . فهذا المذيع الفصيح يتوخى
ألا يقول « السقائيين » بدلا من : السقاة . ولم يُنصف العامة ولا الفصحى
فيما توخى . فالسقاة تنصرف أكثر ما تنصرف إلى السُّعَاعَة بكسوس
الخنزير في مجالس المنادمة ، وقد مُخَصَّصَت كلمة الساقى لهذا المعنى في
التعبير الأدبي على توالي العصور . واستعمل فصحاء الكتّاب قديماً
كلمة السقائيين لمن يسقون الناس ماء أو يحملون الماء إلى البيوت ، وقد
رَوَوْا أن دأباً تمام ، كان في حداثته سقّاء في مسجد عمرو ، ولو عبرنا
بأنه كان ساقياً لاشتبه المسجد بالخان ، والتبس الماء بالصَّهْبَاء !
وتتحدث وزارة « التمرين » عن العدس أو الفول إذا كسر أو
ذهب عنه القشر ، فتقول : عدس مجروش أو فول مجروش ، وفي
اللسان العامي يقال : مدشوش ، وكلمة المدشوش في الفصحى تحمل معنى
الرض والجرش ، ولكن الكاتب الفصيح الذي أشاع كلمة المجروش
لم يشأ أن يضاهي لسان العامة في كلمة « مدشوش » ، فتركها مشردة
لا ترقى إلى ألفاظ الكتابة والتدوين ، في لغة التمرين !
والشعب كله يقول : عَوَّامة . ويَسَاع ، وسَوَّاق ، وخَدَّام . ولكن

إلى كلمة : الأَرْجوحة ، واللغة فيها كلمة « المَرْجوحة » بمعناها .
وهي أولى أن تكون أصلاً ، إذ التغير لا يعدو أن يكون تساهلاً
فى النطق ، بإمالة الواو نحو الياء .

ومنها ما قيل من أن « بصيص » محرفة عن : « مصوص » ،
وفى اللغة من معانى البصيص ما يُحتمل عليه مدلولها فى العامية ،
دون النزوع بها إلى كلمة أخرى .

ومنها القول بأن « خربش » أصلها : « تخش » ، وفى اللغة :
« خرمش » بمعنى « تخش » ، وفيها أيضاً « خربش » ، بمعنى يمكن أن
يتسع للدلول العامى .

فالبحث فى أصول الكلمات العامية يقتضى دقة فى التحليل
والتعليل ، حتى لا نتجنى على كلمة بإخراجها من نسب الفصحى ، وحتى
لا نتممّل فى توهم الوصل بين كلمة وكلمة ليس بينهما نسب صحيح .

(٨)

لشدّ ما تأثرت أنفس كتاب الفصحى بافتراض البعد بينها وبين
العامية ، فما يكادون يدعون أقلامهم يغلت إليها من العامية لفظ ،
وما يكادون يأنسون منها إلى تعبير .

معدودة في الكلمات الصَّحاح ، مثبتة في المعجمات .

وفي الباحثين من يفسر أصل الكلمة بأقرب ما توحى به ، وأظهر ما ترجع إليه ، فيخطئ في هذا التسهّل خطأً المّبعد في التصعّب . ومن أمثلة ذلك فهم كلمة « الحرام » بمعنى اللص على أنها نسبة إلى الحرام ، مع أن الكلمة من بقايا حقيقة تاريخية في عصر بعيد ، تلك هي أن قبيلة « بني حرام » كانت تتهم بالخبث والتلصّص ، فقليل في كل من يستحقّر ويسرق هو : حرامى .

وفي الباحثين من يخطئه التوفيق في تحرير ما لحق الكلمة من تحريف ، فيركب في التأويل متن الشّطط ، حتى يُسند الكلمة العامية مُسنداً تطمئن إليه العربية فيما يرى .

ومن أمثلة ذلك قول الباحثين إن « شحت » مأخوذة من : شخذ ، وإن « بحتره » منقولة عن « بعثره » ، على حين أن التغير في الكلمتين ليس بكبير ، وهو يرجع إلى أن العامة يستبدلون بالثاء تاء في النطق ، وفي اللغة : شحت وبعثر ، ومن معانيهما ما يشترك مع المعنيين اللذين يقصدهما العامة .

ومن الأمثلة ما يعتمد إليه الباحثون من رد كلمة « المرجيحة »

عليها من تحريف ، ليردوها إلى النصحي . بسيد أن هذه الجهود على كثرها وتتابعها ما زالت مطمورة أو مبعة ولم يتح لدعوتها أن تكون جبهة الصوت ، بعيدة الصدى ، تبلغ مبلغ التأثير الإيجابي بين جمهرة الكاتبين .

(٧)

على أن ميدان البحث في أصول الكلمات العامة لم يسلم من الشوائب ، فمن الباحثين من يسيئون الظن بالكلمة العامة قبل أن يتبينوها ، فتراهم يتجهون أول ما يتجهون إلى توهم ما عسى أن يكون قد دخل عليها من تحريف ، لكي يردوها إلى كلمة فصيحة غير محرقة ، على حين أن الكلمة ربما كانت في صيغتها العامة ، وصيغتها الدارجة ، صحيحة فصيحة ، لا تقتصر إلى أعمال فكر ، أو استنجاد علم ، أو تكلف في التخريج . ومن أمثلة ذلك ما قاله الباحثون من أن « نغزه » محرقة عن : تحتحه . وأن « جعجع » مقلوبة عن جعجع ، وأن « نغزه » معدولها : نزغه ، وأن « مكهمكم » صحيحها : مكهمم ، وأن « انكشع » فصيحها : انقشع ، وأن « يضاديه » صوابها : يضاده ، ، وأن « نكش » مبدلة من : نجش ، وأن « لهووج » مغسرة من : لهووق ... فهذه الكلمات التي أنزلها الباحثون منزلة الظننة والالتهام ،

ذلك عالم لغوى جليل المكانة ، نزل « مصر » منذ مائتي سنة ، هو « السيد مُرْتَضَى الزَّيْدِي » صاحب « تاج العروس » ، أبى إلا أن يذيل كل مادة من مواد معجمه الموسوع ببعض ما يتصل بها من كلمات مصرية ، ولم يمتنع بهذا وحده ، فالْهَفَ فيما بعد كتاباً سماه : « الذيل والتكملة » ، واستكثر فيه من تلك الكلمات التي تجرى على الألسنة في « مصر » ، وعلى الرغم من أن « الزبيدي » لم يكن مصري المولد والمنشأ ، فقد اتجه هذا الاتجاه في معجمه وفي تأليفه ، وفاء منه للغة « حارة العَسَّال » القاهرية ، تلك التي احتوته حين كان يكتب ويؤلف ، وتقديراً منه لتطور معاني الكلمات العربية في وطنٍ من أوطان العروبة ، هو « مصر » .

وقبل « الزبيدي » وبعده عُنِيَ غير واحدٍ من علماء اللغة بدراسة اللهجات والكلمات العامية ، وتحقيق نسبها من العربية ، ولهم في هذا الباب مؤلفات وتعليقات .

وفي إبان النهضة الحديثة ، خلال القرن الحاضر ، انتبه جمع من الباحثين لكلمات اللغة العامية ، فأولوها جانب اهتمام ، تارة ينوِّهون بما فيها من كلمات صحيحة ، وطوراً يحققون أصولها ، ويبحثون فيما طرأ

لقد عُقِدَتْ مَحَبَّتُهَا بِقَلْبِي كَمَا عَقَدَ الْحَلِيبُ الْخُنْفَشَارَ
ويحكى أن أديباً معاصراً كان في رفقة من أصحابه ، فوطس أحدهم
في وجهه عطسة مفاجئة أنكرها منه ، فقال له : ما هذا ؟ فأجابه :
ماذا ؟ أنا باعطس . . . يريد : ماذا في أن أعطس ؟ . فقال له
الأديب : أهلا « بعطس أفندي » ، فأطلق عليه هذا الاسم من تلك
الساعة ، فَلَمَزَ مَهْ حَتَّى أَتَاهُ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، ومفرق الجماعات !
فإذا كان في العامية قليل من « الشنفرانية » و « الخنفشارية »
و « البعطسية » فإن فيها كثيراً من الكلمات التي لا تجانبها الفصاحة ،
ولا تُعَوِّزُهَا أَوَاصِرُ النِّسَبِ الْعَرَبِيِّ الْأَصِيلِ .

إن أساطين اللغويين ، والقوام على تصنيف المعجمات ، هم الذين
لا ينتظر منهم أحد أن يَسَرُّوا كلمات العامية ، وأن يُحِلُّوها محلها
من التقدير ، لمحافظتهم على جوهر اللغة الصميم ولبابها الخالص ، فأما
الكتّاب فهم الذين كان يُرجى منهم أن يسارِعُوا إلى الكلمات العامية ،
لمكان حاجتهم إليها في الوصف والتعبير ، ولكن الذي حدث كان غير
هذا الذي يُتَوَقَّع ، وغير هذا الذي يُوحى به المنطق ، إذ أن اللغويين
والمعجميين كانوا في الواقع أَبْرَّ بالكلمات العامية من الكتّاب .

المجاز ، إلى غير ذلك من تصرف مأنوس في التطور الطبيعي للكلمات في مختلف اللغات .

لا تخلو اللغة العامية مع ذلك من كلمات أجنبية دخيلة ، ولعلها لا تخلو كذلك من كلمات زائفة مرتجلة . ولكن معظم كلماتها عربيّ حقاً ودماً ، فالحروف عربية ، والصيغة عربية ، وطريق الاشتقاق عربي ، والمنحى في الانتقال من المعنى الأصيل إلى المعنى الدارج منحنى عربيّ .

يُروى أن « بشار بن برد » سئلَ عن معنى « الشنفراني » من قوله في وصف حمار :

« وخذّ مثل خدّ الشنفراني »

فقال : هذا من غريب الحمير !

وينقل رواية الأخبار أن لغويّاً كان يتباصر بالغريب من الألفاظ ، وكان عريض الدعوى في المعرفة باللغة ، فأتهمّره به بعض الظرفاء من العلماء ليشتبهوا به ، ويشنعوا عليه ، وصنعوا له كلمة « الحنفشسار » ابتداء واختراعاً ، وسألوه عنها ، فأجاب : هي حشيشة يُعقّد بها اللبن في البادية ، وأنشد :

أنها من كلمات العامة ، فإنها إذ تدور على الألسن ، وتنادى بها مهمة التخاطب ، تدل بذلك على أنها سدت حاجة ، وأثبتت كفاية ، وأصبحت خليقة أن يُقام لها وزن واعتبار .

لننظر إلى الكلمات العامة نظرة لا زراية فيها ولا امتحان ، وحسبنا منها في أول الأمر وآخره أن تكون بينها وبين العربية وشيجة ، وأن يكون قد جرى فيها من التصرف مثلما يجرى في كلمات الفصحى .

(٦)

الكلمة العامة التي لا نستعملها في لغة الكتابة بين حالات ثلاث :
فإما كانت صحيحة في اللغة كما يستعملها الناس ، ولكنها قابضة في المعجمات ، قلَّما مسها قلم إلا ذلك القلم الذي يستأنُّ عليها مستودعات اللغة . وإما طرأ عليها ألوان من التحريف والإبدال يسيرة أو غير يسيرة ، فانتقص منها حرف ، أو زيدَ عليها حرف ، أو أخلَّت فيها حروف مكان حروف . وإما كان وجه الخلاف بينها وبين الفصحى ضرباً من التخصيص أو التعميم ، وشكلاً من الإطلاق أو التقييد ، وشيئاً من النقل أو التوسع وسائر علاقات

التي يرسمها للشخصيات والأحداث في بعض الأحيان ، عليها
مسوحة من شحوب ، تنمترُ فيها خفقة الحياة .

لقد تأمرنا على هذه الكلمات العامية كل التآمر ، فكفرنا بها
أشدَّ الكفر ، وتعففنا عنها ما وسعَنا . أن نتعفف . وعددنا
اصطناعا في لغة الكتابة تبدلا في التعبير ، وتزلا عن شرف
المقال . فأسأنا إلى أنفسنا بذلك إساءة بالغة ، إذ حجرونا على
أقلامنا أن تجرى بكلمات عامية دانية القطوف ، سهلة المجتني ،
وبعثناها تكابد الحيرة والعنت في اصطياد ما يقابل هاتيك الكلمات
من وادي الفصحى ، مذعنين لما قد يعوز الكلمات الفصيحة من
دلالة مقصودة ، خاسرين ما في الكلمات العامية من دقة في الدلالة
ومن ألفة بين الناس .

ما كان أظلمنا للكلمات العامية المشرَّدة ، تلك التي استسكرونا
أن نقيدها بالكتابة ، ونمدَّ بها لغة التدوين . ومبلغ عذرنا في إهمالها
والاستبدال بها أننا نغلو في إيثار الفصحى ، وأننا نترفع عن
مشابهة العامة فيما يدرج على ألسنتهم من لغة الحديث .

علينا بادئ بدء أن ننفي عن الكلمة وصمة الابتذال ، بحجة

والاحقاب ، فأودعت الأمة هذه الكلمات العامية ما اختلجت به
فحوسها ، وما تمخضت عنه قرائحها ، وما هدتها إليه أذواقها ،
ومن ثمَّ كانت تلك الكلمات مشحونة بقوة من المعاني والدلالات
بليغة الأثر ، موصولةً بتيار من الألفة ينسجم في مجتمع الناس .

ولنصارح أنفسنا بأننا إذ نكتب ما نكتب ، فإنما نعبّر عن أكثر
ما نعنى من ألفاظ العامية بألفاظ من الفصحى ، ونحاول أن نصطنع
من التعبيرات الفصاح ما يسدّ مسدَّ التعبيرات الجارية في لغة
التخاطب ، وفي كثير من الأحيان لا يكون للكلمة الفصيحة أو الجملة
الطويلة ، من الوقع على السمع ، ومن قوة التأدية ، ما يكون
للكلمة العامية الدائرة على أفواه الناس في معناها المقصود .

والأديب المصور للحياة الاجتماعية على اختلاف درجاتها
وأعماقها أشقى الكاتبين بهذا الصنيع ، وأشدّهم معاناة للجهد في الملاءمة
بين مطالب الدقة والنصوع وبين التزام الفصيح من الكلام . فهو
يرى أشتاتاً من الكلمات العامية أقدر على إظهار الجو ، وتجلية
الروح ، وتحرير الوصف ، وتبيين الحوار . وإذا هو تشكّب
عن هذه الكلمات إلى بديلها من كلمات الفصحى خرجت صورته

تلك ذخيرة من الألفاظ لا يتمثل فيها مجرد الخصائص الصوتية
أو اللسانية التي تتميز بها اللهجات ، ولا مجرد القواعد النحوية
والصرفية التي تختص بها اللغات ، وإنما تكمن في هذه الذخيرة اللفظية
فوق ذلك كله حيوية الأمة في الإنصاح عن حاجات العيش ومقتضيات
الحياة ، وتستبين فيها ما لها من دقة في التسمية والوصف والتصوير ،
ويتجلى فيها ذوقها الفني في الإبانة والإبلاغ والبإثير .

يخطئ من يحسب أن هذه الألفاظ شيء هين . فإنما هي في الحق
كنز ثمين ، لأنها خلایا حية في كيان الأمة المغوى ، وأمداد قوية
تجرى في قدرتها على الأداء مجرى الدم في العرق ، فما استعمل الناس
منها لفظاً إلا لمعنى ، ولا أضيف إليها لفظ إلا لحاجة ، ولا أتيح
البقاء بينها للفظ إلا لضرورة . فهذه الألفاظ في مداجتها للحياة ليومية ،
وفي مخالطتها للناس في شئونهم الدائرة ، تحمل من دقة الدلالة ،
ومن سرعة الأداء ، ومن حرارة التعبير ، ما لا تحمل الألفاظ
المُسكَّنة التي تتناقلها الأفلام .

لقد تصرفت الأمة في نشوء الكلمات العامية وتطورها كما تصرف
أهل الفصحى في نشوء كلمات الفصحى وتطورها خلال القرون

المخاطبة والحديث ، كما هي لغة الكتابة والتدوين .

كذلك من الخير أن نؤكد لأنفسنا هذه القربى بين العامية والفصحى ، ففي هذا التأكيد ما يهبنا الطمأنينة والثقة حين نمسك بالقلم لنعالج الكتابة بلغة غير لغة الحديث ، فلا نتوهم أننا ننتقل من لغة إلى لغة ، وبينهما بون بعيد ، بل نعرف أن قصارى عملنا في الانتقال من لهجة الحديث إلى لغة الكتابة ، إنما هو مجرد صقل للكلمة ، وتقويم للنطق ، وتعديل للجملة ، ورعى لمقتضيات الفصحى في مقام التعبير ، فنقارب بين أسلوب الكتابة وأسلوب التخاطب ما أمكن التقارب ، لنيسر للقارىء أياً كان شأنه سبيل التبئين والفهم ، ونيسر للكاتب أية كانت قدرته سبيل الإبانة والإفهام .

(٥)

ليست العامية كلها خصائص نطق ، وقواعد تعبير ، مما يرجع إلى ما اصططحنا على تسميته بالنحو والتصريف . فثمة في العامية ناحية أجل شأنًا وأعمق أثرًا وأبعد مدى . تلك هي ناحية الألفاظ التي تدور بين الناس ، بها يفهم بعضهم عن بعض ، وبها يعبرون عما في الحياة من المعاني والأشياء ، ويتزعمون عما يقوم بأنفسهم من المشاعر والأحاسيس .

رصين ، حتى فصل بها إلى مثل هذه الفصحى عموداً على بدء .
لقد كسبت الفصحى ضروباً من التطور ، بما سارت من أحقاب
الزمن ، وما عاشت من أشتات الأمم ، وما تمرّست به من ألوان
التجارب ، فمناوعت الحياة في مراحل التقدم البشرى ، وعبرت
عن حضارات تعاقبت في دهور طوال ، وما ينبغي لها أن نستبدلها
اليوم بصورة شاحبة منها ، بدائية فيها ، تباعد بيننا وبين هذا
التوحيد اللغوى الذى ظفرت به الأمة العربية بعد لآى ، ويقطع
ما بيننا وبين ذلك التراث الفكرى الذى نصـل ماضيه المجيد
بمحاضرنا المرموق . لاخير فى الدعوة إلى إحياء العامية ، واتخاذها
لغة كتابة وتدوين ، ولكن الخير كل الخير فى أن ندرس قواعد
هذه العامية ، ومراجعتها من اللهجات العربية ، حتى أن نستعين
بها فى إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيمتها . وما يعالج مشكلاتها
التي تعانيها فى الرفاء بحاجات مجتمعتنا الراهن ، لكي نكفل لها أسباب
اليسر ، ونواقيها بالمزيد من المرونة والطواعية ، وبذلك نزودها
بعوامل البناء والازدهار ، ونذل ما يعترض طريقها من عقبات ،
رجاء أن نبلغ بها المأرب البعيد ، والأمنية القصوى ، فتكون لغة

ويقول « الجاحظ » : « إن الإعراب يفسد نواذر المولدين » ، وهو يدل بذلك على أن الإعراب كان في أيامه متروكا بين المولدين فيما يتطارحون من أحاديث ، والمولدون في ذلك العهد هم معظم الأمة العربية وكثرتها الغالبة .

(٤)

لسنا نأبى العامة إذن لأنها طارئة فينا مُقْحمة علينا تنزل من العربية منزل الدخيل من الأصل ؛ فهي عريقة في نسب العروبة ؛ وهي من صنع مجتمع عربيّ اللسان صميم ، ولسكننا نأبى منها أنها تنايش لغات تهشّمت ، وأحافير لهجات تهدّمت ، وأعقاب السنة لم تبلغ الأوج ، فهي ترد العربية إلى وراء ، حيث كانت القبائل متناكرة النطق ، متغايرة اللهجة . وهي كذلك تنقُضُ الجهد التاريخي الجماعيّ الخطير ، ذلك الجهد الذي أسلم العربية إلى صيغتها النقية الصافية ، صيغة الفصحى . فكأننا باستحياء العامة ، أو العاميات المتعددة في بلاد الناطقين بالضاد ، نرجع القهقري إلى الجاهلية الأولى ، لنستقبل في غدنا سعياً زمنياً جديداً ، وجهداً جماعياً موصولاً ، نبغى به توحيد العربية وتنقيتها وإفراغها في قالب محكم

ويقول «ابن جني» في هذا الصدد : « إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وإن كان غيرُ ما جاء به خيراً منه » ، ويقول « أبو حيان » : « كل ما كان لغةً لقبيلةٍ قياسٌ عليه » .

فهذا الذي نجده من ظواهر العامية ، ونسميه فوارق بينها وبين الفصحى ، ليس في الحق فوارق بينها وبين العربية ، وربما كان الإنصاف يقتضي أن نسميها موافقات ، ونحن إذا سميناها فوارق فلا ننما نلاحظ في ذلك أنها تفرق بينها وبين لغة الكتابة والتدوين ، لا بينها وبين العربية في معناها العام ، وفي شمولها لما جرى على ألسنة العرب جميعاً من لغات ولهجات .

وقد كان الكثير من ظواهر هذه العامية دائراً على الألسن منذ أقدم العصور ، فليست هذه الظواهر بذات الأملس القريب ، ولا وليدة اليهود الخوالف . ومن الطريف أن نقرأ في كتاب « الأغاني » بيتين يُنسبان إلى « إبراهيم الموصلي » ، إمام الموسيقى في صدر الدولة العباسية ، لهجتهما كمثل لهجتنا العامية اليوم ، فهما أشبه بما سميناها « الزَّجل » ، ونصهما :
أنا جت من طُرق مَوصل أحمَلُ قَلْبُ خَمْرِيَا
من شارب الملوِك فلا بُد من سَكْرِيَا

ومنها فتح الحرف الأول من كلمة « عند » فنقول : النقود
عندك ، واللغويون يقولون إنها لغة في « عند » بالكسر .
إلى غير ذلك مما تتباين فيه العامية والفصحى ، ولكننا نجد
فيها حكوما من لغات ولهجات تتفاوت في درجات الجودة والشيوع ،
وهو كلاء مما تخلصت منه لغة الكتابة والتدوين ، وبقي على الألسن
في لغة المشافهة والحديث .

وإمنا لو قصصنا أثر العامية ، وتقصينا ما فيها من خصائص
وضوابط ، مما ينأى بها عن الفصحى ، ثم عزوانا إلى منشأه
في اللهجات ، ومراجعته من السنة العرب ، لما أعيانا من ذلك شيء ،
ولدتنا أن نثبت لكل قاعدة في النطق الهمسي سندا من لهجة
عربية كان لها مكانها في غرابر العصور ، وصدق « الحجاج البلوى »
إذ يقول في كتابه « ألف باء » : « يكاد لا تتكلم العامة بشيء إلا وله
أصل ومعنى ، عَمَلُهُ من علمه ، وجهله من جهله » .

ولا سبيل على الذين يحنون إلى الاحتجاج لهذه العامية ،
لو أرادوا أن يستندوا في ذلك إلى انبثاقها من لهجات العرب . فإن الرأي
للغوى في اختلاف اللهجات أنها كلها حجة ، وأنها كلها بما يقبل القياس ،

هذا بِدْعاً في لغة العرب ، فالمتمنى يقول :
نَحْنُ رَكْبُ الْجَنِّ فِي زِيَّانٍ فوق طير لها سُخْمٌ ووص الجمال
ويُذْهِبُ شِدَّةَ لِشَاعِرٍ إسلامي قوله :

وللموت خير لا مريء من حياته بدارة ذل عَ البلايا يورق
ومن أوجه الخلاف في حركة الحروف بين العامة والنحوي
كسر حروف المضارعة ، فنقول : أنت تعلم ، وهو يخسب ،
وتعالوا نسافر . وهو من المَحْكَسِيَّ في اللهجات ، وبه قرئ
قوله تعالى : إياك نَسْتَعِين .

ومنها تشديد الحرف الأخير في كلمات : أَبّ ، وأخّ ، ويدّ ، وفمّ ،
وهوّ . وهيّ ، وكل هذا مما أثبتته علماء اللغة ، وأوردوا عليه الأمثال .
ومنها ففتح باء الجر ، في مثل قولنا : استعنت بك ، وكسر لام
الجر في مثل قولنا : المال لك . ونجد هذا الكلام العربي ، منسوباً
إلى « قضاة » .

ومنها كسر الحرف الأول من نحو كلمات : بعيد ، وسعيد ،
وجديد ، وشعير . وقد أجازته النحاة ، وإن قيدوه بأن تكون
عين الكلمة حرف حلق .

ومنها إشار الياء على الوار فى مثل قولنا : قَنِيْتُ
وَحَشَيْتُ وَدَعَيْتُ وَشَكَيْتُ ، بدلا من : قَنَوْتُ
وَحَشَوْتُ وَدَعَوْتُ وَشَكَوْتُ ، وقد نظم «ابن مالك» قصيدة
فى الأفعال التى تجيء لاماتها بالواو والياء على السواء ، فما ينطق به
العامّة عربى مسموع .

ومنها ترك المد فى اسم الجلالة ، كما نقول : بِسْمِ اللَّهِ ، وعَبْدُ
اللَّهِ . وحمد الله على السلامة . سجل اللخويون سماع ذلك عن العرب ،
وأنشدوا قول الشاعر :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

ومنها ضم اللام فى قولنا : تَعَالَوْا نَعْمَلْ ، وكسرها فى قولنا :
تَعَالَى نَسَافِرْ ، وقد حُكِيَ ذلك عن العرب ، وبضم اللام قرئ
قوله سبحانه : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ . . .
وبكسرها يروى قول الشاعر :

تَعَالَى أَقَاسِمُكَ الْمَهْمُومِ تَعَالَى

ومنها حذف النون فى « من » ، واللام والياء فى « على » .
فتقول : اشتريته مِ الشارِعِ ، وواقمته عَ الشاطِئِ . وليس

وكلمته كَلِمَتَيْنِ ، وليس ذلك بمنكور في العربية ، فقد فسر به قوله تعالى : فارجع البصر كَرَّتَيْنِ ، إذ المقصود التكرير لا التثنية .
ومن الفوارق النحوية والصرفية بين العامية والفصحى تخفيف الهمزة وتسهيلها أو تحويلها ياء ، كما نقول : راس فى : رأس ، وناكل فى : نأكل ، ويبر فى : بئر ، وبأبيع فى : بائع .
وتوضّيت فى : توضأت . وقد نقل النحاة جواز ذلك كله . وعزّوه إلى مراجعته من لهجات العرب .

ومنها قلب الألف المتطرفة همزة ، فنقول : لَأْ ، فى : لا ، وهو مما أثر عن « تميم » .

ومنها إبدال الهاء فى « هل ، همزة » ، كما نقول : آل فلان حضر ؟ نريد : هل . وهو لغة مسموعة .

ومنها إبدال الحرف المضعف ياء ، كما نقول : قصّيت الشعر فى : قصصت . وعدّيت الورق فى : عددت ، وشمّيت النمل فى : شمت ، وقد حُكى ذلك عن العرب .

ومنها إدغام الـ«هـ» فى الـ«تاء» فى مثل قولنا : حَدَّثْهُ ، نريد : حدثه ، وقد نقل «ابن سيده» أن ذلك مما سمع عن العرب مدغماً .

فتقول للمرأة : أنت أكتبيه وشرّ بكتيه ، وذلك مسموع ، وقد ورد في حديث نبويّ في مخاطبة امرأة : لو راجعتيه . . .

ويتصل به كذلك منع الصرف بالعلمية وحدها ، فتقول : عباسُ حضر ، ورأيت عباسَ ، وقد أجازته الكوفيون من الشّحاة . لما صحَّ عندهم من وروده عن العرب .

ويتصل به كذلك إبقاء الاسم على صورة واحدة من الصور الإعرابية في مختلف مقامات الكلام ، فتقول : هذه بَنِي سُوَيْفٍ ، ولقيت أَبُو عَلي ، وقد حمل النّحاة مثل ذلك على الحكاية ، وعللوا بها ما قرئ من قوله تعالى : « تبت يدا أَبُو لَهَبٍ » .

ويتصل به كذلك إجراء الاثنين مجرى الجمع ، في مثل : رجلان جاءوني ، وهو من سُنَن العربية ، وقَصَّ عن الشعبي قاصّ أنه نطق بهذه العبارة في مجلس عبد الملك بن مروان . فقال له : لحنت يا شَعْبِيّ ، فقال : لم ألحن يا أمير المؤمنين مع قول الله : هذان خصمان اختصموا في ربهم . وكذلك يذكر اللغويون من أمثله ما ورد في حديث غزوة أمّ محمد : رأيت عائشة وحنصة حاسرات .

وشبيه به إطلاق الاثنين وإرادة الجمع . كما تقول : أعطيته قرشين

وما يتصل بالإعراب إسكان آخر الفعل المضارع في الوصل .
فتقول : أخى يسافرٌ معى ، وهو محكىٌّ عن العرب ، وعليه بعض
القراءات في آيات من التنزيل .

ويتصل به كذلك الوقوف بالسكون على الأسماء في حالة
النصب ، مثل : أكلت كبابٌ ، وشربت شرابٌ ، وقد مُنِيبٌ
ذلك إلى قبيلة « ربيعة » .

ويتصل به كذلك حذف نون الرفع ، لغير ناصب أو جازم ،
فتقول : أتمُّ تُحِبُّ والحق ، وهو جائز في فصيح الكلام
ولو لم تكن هناك ضرورة .

ويتصل به كذلك الوقوف على المنقوص بإثبات الياء ، كما نقول :
الدينا تَلاهِى ، واللَّـب تسالِى ، وقد حُكِمى جوازه ، وبه قرئ قوله
تعالى : واكل قوم هادى ، وقوله تعالى : وما لكم من دون الله من والى .
ويتصل به كذلك حذف التنوين في مثل قولنا : سَلامٌ عليكم ،
وهو محكىٌّ عن العرب ، وعليه ما قرئ من قوله تعالى : ولا الليل سابق
النهار . وتعليل الجواز في هذا الحذف كثرة الاستعمال .

ويتصل به كذلك إشباع الكسرة في تاء المخاطبة ، حتى تنشأ ياء .

وفيه صَبَّ الشاعر والنائر روائع البيان .

بيد أن اللهجات المتخالفة بقيت على الأيام تندمى في الحديث الدارج بين الناس . فكلما ذهب أهلها مذهباً في الأرض انتقلت معهم تحمل آثارها على الأفواه ، يرثها جيل عن جيل ، ويُسلمها عصر إلى عصر ، حتى انتهت إلينا في يوم الناس هذا ، وقد تشكلت أشكالاً في بلاد الناطقين بالضاد ، كل شكل منها ندعوه : لغة عامية . بين هذه العاميات المتعددة وبين الفصحى مميزات وفروق ، بعضها له كبيرُ شأن وبعضها لا شأن له ، ولستنا بتقديرين على أن نحصر هنا كل هاته المميزات والفروق ، فلنقتصر منها على الأمهات والرءوس ، إلى طرائف ومُلح ، نلُمُّ بها الإمامة عاجلة .

(٣)

أُمُّ الفوارق بين العامية والفصحى ظاهرة الإعراب ، فإن العامية لا تُعَرِّب إلا في السَّدْرَةِ ، وقد حكى اللانويون ترك الإعراب عن «تميم» ، وذهب النحاة مذاهب شتى في تعليل ما وجدوه من الشواهد والأمثلة غير مُعَرَّب ، فقالوا إنه تخفيف ، أو إنه وصل بنِية الوقف ، أو غير ذلك من عبارات تقليدية .

(٢)

فلندع هذا الصراع يدور سجالاً بين شيعة العامية والمستمسكين
بالفصحى ، ولننظر في كنه هذه اللغة التي كانت محور النزاع
والصراع .

الحق أننا بإزاء لغة غير محدثة ، وما الفوتُ بينها وبين
الفصحى يبيد .

هذه العامية أقدم من الفصحى عهداً ، وأغرق منها إلى العروبة
نسباً ، وفي مقدورنا لو أتيجت لنا كتابة العامية أن نقول بأننا
نكتب العربية ولا مرا .

لقد عاشت خصائص تلك العامية في العصور العربية الأولى ،
إذ كانت لهجات مختلف القبائل والعشائر ، جرت عليها طبائع
النشوء والارتقاء ، ومرت بها أطوار تنازع البقاء .

وعلى ترادف من الأيام وبعون من عوامل ودلايسات ،
ألفينا هذه اللهجات المتخالفة تتجمع وتختمر ، وتتخذ لها قالباً هو
الذي سميناه : الفصحى ، فكان هذا القالب صيغة مختارة ، وعسرة
مزاكاة ، ينطوى على النقاوة من خصائص اللغة ، به نزل القرآن ،

ويلاقي مزيداً من العنيت ، سواء في قواعد النحو والصرف ، وفي خصائص اللغة . وفي شرائط الإملاء ، ويحسب هؤلاء أن العامية إذا اتخذت لغة كتابة وتدوين ، لم تفتقر إلى شيء من القوانين والضوابط على مثل ما هو في الفصحى ، ولكن الحق أننا لو كتبنا العامية لكان لزاماً علينا أن نضبط النطق بها كل الضبط ، وأن نؤصل أصولها في تصريف الكلام أدق تأصيل ، حتى نستخلص ما فيها من قواعد وضوابط وقيود ، ثم نمهد سبيل رسمها بالحروف ، ونعين في كتابتها مقاطع الفصل ومواضع الوصل ، وبذلك نخرج من نحو الفصحى وصرفها وخصائص كلماتها وطرائق إملائها إلى بديل من نحو العامية وما يكون فيها من تصريف وخصائص كلمات وطرائق إملاء .

ولن يُعَفِّينَا من تعقيد العامية وتأصيلها أننا ننطق بها من غير تلقين ، ونزاولها دون درس ، فإن اللغات الأجنبية ، وهي في الجملة لغات كتابة وحديث معاً ، يتدارسها أهلها في معاهد التعليم ، ويلقنون قواعدَها في النطق والتصريف والتدوين ، تأمينا لها من الزيغ والانحراف ، وحرصاً على سلاتها في الاستعمال .

ولا وُضِعَتْ لها ضوابط تحكمها وتردها إلى نطاقٍ من الصواب .
وَمَنْ عالج كتابتها تصدَّتْ له مع ذلك عَقَبَات من إملائية
البُدَائِيّ ، لا يرجع فيها إلى نظام محرّر ، ومعالم مجلوة . عسير
كان أمرها أو غير عسير .

وثنّة عامل نفسي يصمُّ هذه العامية بالتخلف ، ويصدّها عن
مغالبة الفصحى ، ذلك أن العامية قرينةُ الأمية ، ومظهرها الشامل ،
وأن الفصحى مدرجة التعليم ، ولسانه المبين . فالدعوة إلى العامية
تُتناهى ما يعمرُ جوانح الأمة من شعور التماسي إلى نحو الأمية ،
بتعميم المعرفة ، وإشاعة التنوير الفكريّ ، وبسط الثقافة إلى أبعد
مدى . والدعوة إلى تسويد الفصحى تطاوع تلك المشاعر النفسية
في الأمة ، وتجاري الدافع الطبيعيّ للرقى الاجتماعيّ ، وكل دعوة
تتغاضى عن النزعة النفسية العامة ، وتستخفّ بالطبائع الاجتماعية ،
الدافعة ، دعوة ذاهبة مع الريح .

والدعاة إلى العامية يذكرون فيما يبعثهم على دعوتهم تلك أن
الفصحى يعانى أهلها ممارستها بالدرس ، ويكتسبون ملكتها بال تلقين ،
وأن المتعلم يبذل في هذا التمرس والاكتساب كبيراً من الجهد .

الناصر أن تكون مُكْتَتَبَةً بقدر ملحوظ ، ولا هي فقدت
بهذا الخصيم شيئاً من سلطانها على ألسن الناس .

وما كان الكتّابون ليطمئنوا إلى اطراح الفصحى في يسر ،
وهم يجدونها بين أيديهم أداةً محكمة ، قواعد مضبوطة ، وسُننها
واضحة ، ونطقها متقوّم ، ولها ميراثها العريض في ضروب العلم
والآداب والتشريع ، وأصالتها المكيّنة في مناحي التفكير والتعبير
والإفهام ، وهي بعد ذلك لغة أمم متعددة ، بينها وشائج من الدم
والدين والتاريخ ، إلى مَشَاهِدِهِ في الحياة الاجتماعية تكاد تجعل منها
قومية واحدة ، بين أجزائها تلاحم والتمام .

وما كان الكتّابون ليستجيبوا إلى اتخاذ العامية لغة كتابة
وتدوين ، وهم من هذه العامية بين لهجات تباين أو تتفاوت ، وليس
قبائلها وتفاوتها يقتصر على الأمم المتعددة في بلاد متباعدة ، ولكنه
يكون في الأمة الواحدة بين مُصْقَعٍ وُصْقَعٍ . وهي في جملتها مقصورة
على أداء الحاجات اليومية في مجالها العام ، لم تمارس غيرها من مطالب
الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية في رقيها وتقدمها مع الزمن ،
ولم تُدرّس لها قواعد تحفظ عليها السلامة وتصونها من الفوضى ،

لم نختلف نحن في شيء من قضايا اللغة قدر اختلافنا في شأن
اللسان العامي ، أعني لغة المشافهة والخطاب .

كان للعامية ، منذ مطلع هذا القرن الحاضر ، أنصار وخصماء .
فن القوم من ينأى بها ، ويهتف بحياتها ، منادياً بأن تكون لغة
الكتابة والتدوين ، ومن القوم من يتمنى أن لو كانت العامية
رجلاً ليقتله ، حتى تسود الفصحى كل السؤدد فتصبح أداة
الحديث الدارج في البيت والسوق .

ولقد حارت هذه العامية بين أنصارها وخصمائها جميعاً ، فإن
الذين يظاهرونها على الفصحى يكتبون أفكارهم ويترجمون عن ذات
أنفسهم بالفصحى ، وإن الذين يكرهون العامية أشد الكره ،
ويتمنون قتلها شرّاً قتلته ، يتبادلون بها حديثهم الدارج في
الكرامية والتأمر على القتل الذريع .

وكذلك لبثت العامية في مكانها ، لا تتقدم ولا تتأخر . . .
لم يُفدّها ناصر ، ولم يُنسل منها خصيم . . . فلا هي بلغت ذلك

يقترقون بين « الحلة » و « القدرة » — معنى كلمة « النقطة » —
 معنى كلمة « المشوار » — معنى « صوتت المرأة » و « سمعت
 صواتها » — معنى قول العامة : « فلان غلب » — معنى قولهم :
 « فلان يشب » — معنى قولهم : « رجل حقاني » — معنى قولهم
 في وصف المصباح : « مدخمس » — معنى قولهم : « رجل منا كف » .
 (١١) الكاتب القصصى أو الروائى المسرحى أحوج ما يكون
 إلى كلمات العامة فى الوصف والتصوير ، وفى مساق الحوار —
 الدلالة التأثيرية الخاصة للكلمات الشعبية — نموذج حوار رجل
 وامرأة — نماذج من حديث إحدى النساء — هذه النماذج كلها
 على قنناتها فى العامية عربية فصيحة .

(١٢) بين العامية والفصحى ستار موهوم يجب أن نجلوه عن
 العيون — يجب فتح الباب على مصراعيه للكلمات العامية —
 تسميتها بالعامية جنت عليها — فلنسميها : العامية... الفصحى !

عن كلمة « المدشوش » إلى كلمة « المجروش » - الأطباء يعدلون
عن كلمة « فتح البطن » إلى كلمة « شق البطن » - كلمات فصيحة
نتركها ونستعمل غيرها لورودها على ألسنة العامة - استعمالات
عامية نعثر عليها في كتب الأدب القديم مثل « طيب » و « وجب »
و « مجلس حظ » - تعبيرات عامية يسفر عنها التنقيب في المعجمات
مثل : « فم الغسيل » و « هلا هب » والحلف « بالأمانة » - جملة
من الكلمات العامية الفصيحة .

(٩) في العامية كلمات عربية أشربت مدلولات جديدة -
هذه الكلمات عاشت مع الناس فتصرفوا فيها وفق الدواعي
والحاجات - هذه الكلمات زبدة خبرة ، وثمره تجربة - هذه
الكلمات تقطير لذوق الأمة البليان وفنها التعبيري - يجب أن نلاحق
هذه الكلمات بالبيان العربي لإغنائها بها - نحن نقتل بنات الشفاه
العامية - هذه الكلمات المومودة تسألنا : بأي ذنب قتلت - قبلت
اللغة من الكاتبين ما يسمى « التوليد » في الكلمات ، فلماذا لا نقبل
مثله من اللسان الدارج - ربما كانت الكلمة العامية أدل وأقوى -
ربما كانت الكلمة العامية لا مقابل لها في الفصحى .

(١٠) العامة يفرقون بين « باش » و « ساح » و « ذاب » -
العامة يفرقون بين « بص » و « تبصص » و « بصبص » - العامة

الألفاظ بشمرات القرائح والأذواق - الأدب المصور للحياة الاجتماعية هو الذى يشقى بالملاءمة بين الدقة والحيوية وبين التزام الفصيح - مؤامرة على الكلمات العامية خوفاً من معرفة الابتدال - ظلمنا لهذه الكلمات المشردة ترفعاً عن مشابهة اللغة الدارجة - الكلمة العامية لا تكون مبتذلة متى أدت وظيفتها - حسب الكلمة العامية أن يكون بينها وبين العربية نسب .

(٦) الكلمة العامية إما صحيحة وإما محرقة وإما لحق معناها شيء من التصرف - لا تخلو العامية من كلمات دخيلة أو مرتجلة - الشنفرانى والخنفشار وبعطس أفندى - اللغويون كانوا أبر بالكلمات العامية من الكتاب - لغوى نزيل مصر يثبت فى معجمه الكلمات المصرية - باحثون يدرسون الكلمات العامية ويدعون إليها ولكن دعوتهم تذهب سدى بلا صدى .

(٧) ميدان البحث فى الكلمات العامية لم يسلم من الشوائب - الباحثون يتوهمون التحريف ولا تحريف - كلمات تنتم بالتحريف وهى منه براء - البحث فى أصول الكلمات العامية يقتضى دقة وإحاطة ومعاونة خشية التجنى عليها والخطأ فى تعليلها .

(٨) تأثرنا بافتراض البعد بين العامية والفصحى - مذيع يعدل عن كلمة « السقائين » إلى كلمة « السقاة » - وزارة التكوين تعدل

الأول من نحو بعيد وجديد أجازته النحاة — فتح عين « عند » لغة في كسرهما — كثير من خصائص العامية محكى في لهجات العرب — لكل قاعدة عامية سند من لهجة عربية — جواز الاستناد إلى لهجات العرب في الكلام — كل اللهجات يقاس عليها : رأى « ابن جنى » و « أبو حيان » — ما بين العربية والعامية جدير أن يسمى « موافقات » لا « فوارق » — ظواهر العامية قديمة في حياة الأمة العربية — بيتان « للهوصلى » شبيهان بلغة الأزجال — « الجاحظ » يثبت أن المولدين كانوا يتكلمون بالعامية .

(٤) العامية عريقة في نسب العربية — العامية صنعها مجتمع عربى — ما ناباه من العامية أنها تنايش وأحافير وأعقاب — العامية ترد العربية إلى وراء — العامية تنقض الجهد التاريخى الذى أسلم العربية إلى صيغتها الفصحى — هذه الفصحى كسبت تطوراً وعبرت عن حضارات ووحدت لغات ولها تراث فكري — العامية يمكن الاستعانة بها على تطويع الفصحى حتى تكون لغة كتابة وتدوين — تأكيد القربى بين العامية والفصحى يهبنا الطمأنينة والثقة في معالجة الكتابة .

(٥) العامية ليست كلها قواعد نحو وصرف — الألفاظ التعبيرية أهم ما فى العامية — هذه الألفاظ ذخيرة حية فيها من الدقة والحرارة ما قد يعوز الكلمات المكتتبة — الأمة تشحن هذه

الفعل المضارع محكى عند العرب - الوقوف بالسكون على الأسماء
 فى حالة النصب منسوب إلى قبيلة « ربيعة » - حذف نون الرفع جائز -
 الوقوف على المنقوص بإثبات الياء مباح - حذف التنوين لكثرة
 الاستعمال مسموع - إشباع الكسرة فى تاء المخاطبة لأبأس به -
 منع الصرف بالعلمية وحدها يحيزه نحة الكوفة - إبقاء الاسم على
 صورة إعرابية واحدة محمول على الحكاية - إجراء الاثنين مجرى
 الجمع من سنن العربية - إطلاق الاثنين وإرادة الجمع تفسر به آية
 قرآنية - تخفيف الهمزة أو تسهيلها أو تحويلها ياء منقول عن
 اللهجات - قلب الألف المتطرفة همزة ماثور عن قبيلة « تميم » -
 إبدال الهاء فى « هل » همزة مسموع عن العرب - إبدال الحرف
 المضعف ياء محكى عن العرب - إدغام التاء فى التاء فى مثل « حدثه »
 منصوص عليه - إثبات الياء على الواو فى مثل قنوت وحشوت
 عربى - ترك الممدّ فى اسم الجلالة وارد عن العرب - ضم اللام
 فى قولنا « تعالوا » وارد فى القراءات ، وكسرها فى قولنا « تعالى »
 وارد فى الشعر - حذف النون فى « من » و « عن » واللام والياء فى
 « على » له أمثلة شعرية - كسر حروف المضارعة من اللهجات -
 تشديد الحرف الأخير فى : أب ، وأخ ، ويد ، ونحوها من المسموع -
 فتح باء الجر وكسر لام الجر منقول عن « قضاة » - كسر الحرف

معالم البحث

(١) للعامية أنصار وخصوم — أنصار العامية يكتبون بالفصحى — خصوم العامية يتكلمون بها — العامية لم يفدها الانتصار لها ولم يضرها النعْيُ عليها — الفصحى أداة محكمة غنية بتراسها — الفصحى صلة بين أمم شتى — العامية لهجات متعددة — العامية مقصورة على أداء الحاجات اليومية — العامية قاصرة في الضوابط والنظم — العامية قرينة الأمية — العامية مفتقرة إلى تعقيد وتأصيل لو اتخذت لغة كتابة وتدوين — التكلم بالعامية لا يعنى من دراستها لو كتبت — اللغات التي هي لغات كتابة وحديث معاً تدرس قواعدها ونظمها.

(٢) معرفة كنه العامية أولى من البحث في الصراع بين أنصارها وخصومها — العامية أقدم من الفصحى — كانت لهجات القبائل والعشائر — الفصحى هي القالب المختار لمختلف اللهجات — اللهجات بقيت تنقل على ألسنة الناس — أشكال اللهجات كل شكل منها يدعى لغة عامية — الفرق بين العامية والفصحى تتفاوت منازلها وأقدارها .

(٣) أم الفوارق ظاهرة الإعراب — قبيلة « تميم » تترك الإعراب — النحاة يعلمون ما ورد من الشواهد غير معرب ، — إسكان آخر

العامية ... الفصحى !

(٥٨) الشفيرة :

(جزء من أداة الخلاقة الشخصية ، ويسمى باسم خاص
للتفرقة بينه وبين الموسيقى الكبيرة التي يتخذها الخلاق
المحترف)

(٥٩) الجرتير :

حمالة الجوزب

(٦٠) الكمسارى :

المحصل (استعملته إحدى شركات السيارات)

(٦١) البلاك أوت :

التغميم ، أو : الإظلام .

(٥٣) سَوِيْتَر :

عَرَقِيَّة ، أو : سَوِيْتَر ، (على أن تَنْطَاق بِصِيغَةِ
التصغير ، إما باعتبارها تعريباً ، وإما باعتبارها مصغرة
كلمة : سَاتَر ، على توهُّم أنها عربية)

(٥٤) نِظَام البَطَاقَات ، أو نِظَام الجِرَايَات ، أو نِظَام
المُخَصَّصَات :

(توزيع المواد التموينية وغيرها بمقادير معينة لا تُتَعَدَّى)

(٥٥) الدَّوَرِيَّات :

(المطبوعات التي تظهر في مواعيد دورية ، يومية كانت أو
أسبوعية أو شهرية أو حَوْلِيَّة ، وهي الصحف والمجلات
والنشرات ذات المواقيت)

(٥٦) شَرَكَة أُنُونِيم :

شَرَكَة غُفْلِيَّة ، وفي بعض البلاد العربية يقال :
مُغْفَلَة . (شَرَكَة ذات أسهم غير مسمى حاملوها) .

(٥٧) الرَجِيم :

الْحِمِيَّة

(٤٦) مرملاذ المرَبِّي :

المهُرُوسَة

Papeterië

(٤٧) باييتري :

ورَّاقَة ، وصاحبها : ورَّاق

Librairie

(٤٨) ليبريري :

مكتبة ، وصاحبها : كُتَيْبِيّ

(٤٩) قلم الخـبر :

المُدَّاد (استعمل سحني ناعف — لهذه الأداة — منذ

خمسـين سنة كلمة : الأقلام المدَّادة)

(٥٠) المازورة :

شريط القياس

(٥١) الطابور :

القـطار (استعمله الجيش المصري في التشـكيلات

العسكرية)

(٥٢) برافان :

ساتر (استعملته وزارة الداخلية المصرية)

(٣٩) التعصير :

(جعل الأشياء عصرية ملائمة للحالة الحديثة الحاضرة ،
مثل تعصير رواية من النوع الاتباعى (الكلاسيك) ،
وإعدادها وفق مقتضيات العصر الحاضر) .

(٤٠) البروتوكول :

العُرف السياسى

(٤١) الرذنجوت :

مُحلة المراسم

(٤٢) السموكن :

حلة السَّهرة

Pnou

(٤٣) البنو :

[الإطار] : (الإطار الخارجى لعجلة السيارة)

(٤٤) البشمبراير :

[الأنوبة] : (الإطار الداخلى لعجلة السيارة)

(٤٥) جلى المربى :

الهُلامِيَّة

(٣٣) المونوتيب :

السَّيِّبُ الحَرْفِي — سَابِكَةٌ حَرْفِيَّة .

أو : الصَّف الحَرْفِي — صَفَّافَةٌ حَرْفِيَّة .

(٣٤) اللينوتيب :

السَّيِّبُ السَّطْرِي — سَابِكَةٌ سَطْرِيَّة .

أو : الصَّف السَّطْرِي — صَفَّافَةٌ سَطْرِيَّة .

(٣٥) البستنة :

تعليم زراعة البساتين وتنميتها وكل ما يتصل بها .

(٣٦) التخصير :

(صبغ الأشياء بالصبغة المصرية ، مثل تمصير رواية أجنبية ،

أو تمصير شركة أجنبية) .

(٣٧) التَّوْنِسِيَّة :

(جعل الأشياء تونسية ، نسبة إلى : تونس)

(٣٨) السَّوْدَانِيَّة :

(جعل الأشياء سودانية ، نسبة إلى السودان)

(٢٦) السمفوني :

ملحمة موسيقية

(٢٧) الفيتو :

النقض

(٢٨) القايش (للموسى) :

المشحذ

(٢٩) المركوب :

(يخصص لهذا النوع من الأحذية ذى الطابع القديم

واللون الأحمر)

(٣٠) السيْفون (لمرافق المياه) :

صندوق السَّطَرْد

(٣١) فوتوجنيك :

ذو وجهة تصويرية

(٣٢) كمالوج :

دفتر المعارضات

- (١٨) التشحيم :
- تزويد السيارة بالشحيم وما يتصل بالتنظيم والإعداد
- (١٩) الجرسيه :
- المُكرّش
- (٢٠) سينما فستافيزيون :
- السينما الغائرة ، أو : المنظر الغائر
- (٢١) تليكوميونيكيشن : Telecommunication
- الاتصال الكهربائي
- (٢٢) الترمس :
- زجاجة عازلة ، أو : العازلة ، أو : الرمزمية ، أو : الكظيمة
- (٢٣) الليكوبلاش :
- اللاصق
- (٢٤) السسبنس : Suspense
- التوتر (مواقف سينمائية تثير الانتباه والتوقع)
- (٢٥) السيرناد (في الموسيقى) :
- الغرامية

(١١) البَالُو :

الفَنَزَج (حفلة راقصة يشترك فيها جمع الحاضرين)

(١٢) البَالِيه :

الرقص الرمنزى (تؤديه جُوقه من الفنانين)

(١٣) البَالِيرِيْنَا :

الراقصة الأولى

(١٤) الكَلَاكْسُون :

آلة التَنَزِيِيَه (استعملها قلم المرور فى وزارة الداخلية

المصرية)

(١٥) وابور الزلط :

الهرَّاس (استعملتها وزارة الأشغال ، وفيها مصلحة

تسمى : « مصلحة الهرَّاسات »)

(١٦) الصَندَل :

الصَّندَلَة (نوع من الأحذية ، والكلمة معربة من قديم ،

ووردت فى معجم : المصباح المنير)

(١٧) المَكَمَّدَات :

الكَمَادَات

(٣) قومسيون طبي :

لجنة الفحص الطبي

(٤) كونسولتو :

هيئة طبية

(٥) أوتوستراد :

طريق السيارات

(٦) كورس :

مجموعة

Perspectif

(٧) بيرسبكتيف :

المُنظور

(٨) جيتر :

المِسْطاة . الرّان . غطاء الخزاء

(٩) أمبرميابل :

مِمَطَر . مِعَطَف واق . معطف مَطَر

(١٠) البالون :

المُنْتَطاد

مدلولات عصرية .

وفيا سلف ، قدّمت طائفة من كلمات الحياة العامة منها ما تلقّطته في بعض القراءات والمطالعات ، ومنها ما اقترحتة وعرضت لي الحاجة إلى استعماله فيما أكتب .

وهأنذا أقدم مجموعة أخرى ، أرجو أن أتبعها بمجموعات أخرى ، وما اريد بها أن ألزِمَ الكلمات التي وضعها الناس قبلي ، ولا أردت أن ألزِمَ الناس ما لي فيها من كلمات مقترحة ، وإنما أنا أبغى وضعها تحت الأنظار ، وعرضها على مدرّجة البحث ، وتقريب منالها من الراغبين .

واللفظ كائن حتى ، مولود جديد ، علينا أن نلتق به في خضم الحياة ، لكي يزاوَل تجربته في هذا الوجود .

* * *

١٨ — وهاكم مواليد جديدة في لغة الحياة العامة :

(١) النيرسرى : Nursery

حُجرة الحضانة

(٢) السير : Serre

بيت النبات

الكلمات الفصحى ، وفي إشاعتها للتعبير عن حاجات الحياة .
وإن من حق المجمع ، بل من واجبه ، أن يتسمّع إلى هذه
المُتَنَافَاتِ التي تتردّد في جوانب الأمة العربية ، وأن تكون لها
أصدائها في سعيه واتجاهه ، لا يلتقي بالا إلى من يتفكّسون
بالغمز ، فأولئك هم اللاهون الذين لا ينظرون نظرة جدّ
وتفكير ، وأولئك ليسوا من الأمر في قليل ولا كثير .

إن من حق المجمع ، بل من واجبه ، ألا يجارى الظواهر
السطحية التي تبدو كما يبدو حباب الماء ، ثم لا تلبث أن تخفى كما يخفى
حباب الماء . ولأنه لو اجحد في صميم المجتمع العربي هنزوعاً
أصيلاً إلى أن تكون العربية لسان الحضارة التي تغمره من كل
جانب ، فهو يسمو إلى أن يُعبّر عن كل شيء يزاوله وكل معنى
يخالجه بلغظ عربي مبين .

١٧ — وقد كنت دأباً منذ زمن على تدوين ما يقع تحت
ناظري أثناء مطالعاتي في الصحف والمجلات من ألفاظ جدد ، وجد
المؤلفون حاجة إليها ، فاجتهدوا في وضع صيغها لأداء

أَسْمُهُمْ مُغْفَلَةٌ ، بِسُكُونِ الْغَيْنِ وَفَتْحِ الْفَاءِ ... وَرَبَّمَا كَانَ مِنَ الْخَيْرِ
أَنْ يُقَالَ : « مُغْفَلِيَّةٌ » ، نِسْبَةً إِلَى الْغُفْلِ بِضَمِّ الْغَيْنِ وَسُكُونِ الْفَاءِ .
وَالشَّيْءُ الْغُفْلُ هُوَ الشَّيْءُ غَيْرُ الْمُسَمَّى صَاحِبَهُ أَوْ الْمَعْرُوفُ شَأْنَهُ .

* * *

١٦ — لَمْ يَدْمُدْ رَيْبٌ فِي رُوحِ الْإِفْصَاحِ تَخَفُّقٌ فِي صَدْرِ
الْمُجْتَمِعِ الْعَرَبِيِّ خَفُوقًا يَحْفَظُهُ عَلَى إِثَارِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَإِبَاءِ الْكَلِمَةِ
الْأَجْنَبِيَّةِ . وَلَيْسَ هَذَا مَقْصُورًا عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي مَعَاهِدِ الدَّرْسِ ،
أَوْ الْكَاتِبِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَحْثِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَامِلٌ غَامِرٌ ، يَسْتَوْعِبُ
الْعَامِلِينَ فِي مِيَادِينِ التِّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَفِي مِرَافِقِ الْحَيَاةِ الْعَامَةِ .
فَالصَّبِيغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَيْهِمْ غَالِبَةٌ ، وَسَمَوُ الدُّوْقِ فِي التَّعْبِيرِ بَيْنَهُمْ
وَاضِحٌ جَلِيٌّ .

وَإِذَا كَانَ بِمَجْمَعِنَا اللَّغْوَى قَدْ لَقِيَ مِنْ غَمَزَاتِ الْمُتَفَكِّهِينَ مَا لَقِيَ
بِحَقِّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ ، حِينَ رَغِبَ فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ أَنْ يَقْدِمَ لِلْجُمْهُورِ
كَلِمَاتٌ فَصِيحَةٌ تَقُومُ مَقَامَ الْكَلِمَاتِ الدَّخِيلَةِ ، لِلتَّعْبِيرِ عَنْ شُؤْنِ الْحَيَاةِ
الْعَامَةِ ، وَالْأَسْبَابِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ النَّاسِ — فَإِنَّ الْجُمْهُورَ الْيَوْمَ يَشَارِكُ
الْمَجْمَعَ أَوْ يِيَارِيهِ فِي هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَأَكَادُ أَقُولُ إِنَّهُ يَسْبِقُهُ فِي وَضْعِ

الأداة ، وهى عزل ما تحتويه عن مؤثرات الجو من الرطوبة والحرارة ، وكان المرحوم الشيخ «السكندرى» قد اقترح «الترمس» كلمة : «الكظيمة» وهى لاتخلو من غرابة ، وكنت قد قدمت كلمة «الزمنمية» لشهرتها وإن لم تكن «الزمنية» مثل «الترمس» فى وظيفتها . وتلك هى كلمة «العازلة» تجىء اليوم لتنافس فيما أراد المرحوم «السكندرى» وفيما أردت ، وكل هذه الكلمات تتلاقى فى أنها قوى تكافح الكلمة الأجنبية ، كى تقصمها عن مجال الاستعمال .



١٥ — وحدثنى صديق أن زائراً مصرياً قدِم «لبنان» فإذا هو يقرأ فيها لافتة لإحدى الشركات مكتوباً عليها : «شركة مغفلة» ، ولم تفتحه الدُّعابة ، فقرأها ضاحكاً من معه : شركة مُغَفِّلَة ، بفتح الغين وتشديد الفاء ... والشركة لم تشأ أن تكتب الكلمة الأجنبية «أنونيم» أى ذات أسهم غير مسمى حاملوها ، أو غير مقصورة على أشخاص معينين . ولعل الشركة لاحظت أن تلك الكلمة الأجنبية إذا كتبت بحروف عربية نبت عنها العيون ، فترجمت الكلمة بما يقابلها من العربى ، وأرادت أنها شركة ذات

أو « التأسيس » ، ولم يكن في حسابي أنها مستعملة في ذلك البلد العربي ، ولا توقعتُ أن تستعملَ في زمن وشيك .

١٣ — ومما يتصل بهذا أيضاً أن مصرياً يحمل لقب (أمير الإي) سافر إلى بلد عربي ، فلما ذكرَ هذا اللقب لمن عند الحدود من الحرس ، لم يفهموا ماذا يعنى ، إذ كان غير مرتدٍ حلتته الرسمية ، ولم ينبجُ من الموقف الحرج إلا حين تطوَّع أحد الناس بالشرح ، فقال : إنه « عقيد » ، فما إن علم الحرس بمعنى اللقب حتى رحبوا بصاحبه ، ويسَّروا له مهمته ، وزالت يده وبيدهم وحشة كان مردها إلى الكلمة الأجنبية : « أمير الإي » !

١٤ — وفي صحف « لبنان » قرأت إعلاناً يبشر فيه صاحبه بوصول كميات من الزجاجات العازلة ، وقد أوضح معناها بذكر كلمة « ترمس » بين قوسين ، فقد عزَّ على التاجر أن يطالع القراء العربَ بالكلمة الأجنبية وحدَّها دون مقابلها العربي ، فعبر عنها بالزجاجات العازلة ، وهو تعبير سهل مُستوحى من وظيفة هذه

وانظماؤها ضيقاً في النفوس ، وحيرة في الأذهان .

١١ — وفي أثناء الأحداث القريبة كانت البلاد المختلفة في الشرق والغرب تتخذ من الإجراءات التموينية ما تقتضيه الأحوال ، فلاحت ثلاثة تعبيرات لمعنى واحد ، هو نظام التوزيع المحدد لبعض مواد التموين . وقد سُمي في «مصر» : نظام البطاقات ، وسمته إحدى الإذاعات الأجنبية : نظام الجِرايات ، وأطلقت عليه إحدى الصحف العربية : نظام الخمَصات... ويستبين في هذا التخالف في التسمية ما يشبه التقاتل في سبيل تسويد كلمة عربية ملاممة تؤدي هذا المعنى الجديد في ميدان الحياة .

١٢ — وشبه بهذا ما يجري حول كلمة (الفيزا) أو الإذن بالخروج من بلد إلى بلد ، ففي «مصر» شاعت لهذا المعنى كلمة : (التأشيرة) ، وكنت قد اقترحتُ له كلمة « الوَسْمة » منذ فترة غير بعيدة . فما راعى وأنا في مفوضية الأمن العام في «بيروت» ، إلا أن أسمع أحد الضباط يردد كلمة « الوَسْمة » معبرا بها عن « الفيزا » ،

المعروفة عند أولئك الحلاقين المحترفين ، وَتَجَمَّمتْ كلمة جديدة في تسمية هذه الأداة الصغيرة ، وهى « شَفْرة الحلاقة » لتميَّاز بها عن موسى الحلاق . وفى اختيار تلك الكلمة ذَوْق مقبول .



١٠ — وفى خِلالِ المناقشات السياسية الدولية حول مشكلة القنّاة ، كتب قارىء إلى إحدى الصحف اليومية يأخذ عليها أنها تردّد لفظاً « الفيتو » الذى يستخدم أحياناً حين أخذِ الرأى فى قرارات مجلس الأمن ، وهذا القارىء يعيب على الصحف أنها تفرض فى قرائها المعرفة بمدلولات الكلمات الأجنبية ، ويرغب إليها فى أن تستبدل بها كلمة عربية مفهومة... وفى ذلك النقد والمؤاخذة برهان على أن القارىء العربى لم يعد يَرْضَى بغير الكلمات العربية التى تثير فى الذهن دلالات من قريب أو من بعيد ... ولو أننا أخذنا كلمة « النقص » التى أراها معبرة عن معنى « الفيتو » لاستطاع قارئ العربية أن يفهم منها مدلول الاعتراض أو الرفض أو الردّ أو ما يتصل بهذا المعنى ، وهى على أية حال ليست كالكلمة الأجنبية مُغلّقة المعنى ، طامسة المدلول ، يُشيع انغلاقها

لم تبلغ من الدقة ما راعاه المجمع حين اختيار كلمة « المِرْداس » .

٨ - وفي إحدى السيارات العامة « بالقاهرة » لمحت قطعة مَعْدِنِيَّة تَزِينُ صَدْرَ العامل الذى يتولى قَبْضَ الأجور من الركاب ، وقد حَفِرَتْ عليها كلمة « مُحْصَل » ... فهذه الكلمة قد آثرتها شركة السيارات على الكلمة الأجنبية التى عاشت حقبة من الدهر ، وهى كلمة « كسارى » ... وقد كنت اقترحت كلمة « التَّذْكَرَى » واستعملتها لتقوم مقامها ، ولكن يبدو أن كلمة « مُحْصَل » هى التى ستتغلبُ على كلمة « كسارى » غير مأسوف عليها ، وعلى كلمة « تَذْكَرَى » أيضاً مأسوفاً على شباها الغض !...

٩ - وفي العمود المواضى كانت كلمة « المُوَسَى » شائعة فى تسمية الأداة التى يستعملها الحلاقون المحترِفُونَ ، فلما اتَّخِذَتْ هذه الأدوات الصغيرة التى يستعملها الناس بأنفسهم للحلاقة ، وأراد التجار أن يُسَمُّوا مَوَاسِيَهُمْ فى إعلاناتهم التَّجَارِيَّةِ ، لم يطبَّ لهم أن يستعملوا كلمة « المُوَسَى » حتى لا تلتبس بالمُوَسَى

أنفُسكم صفوفاً ، إذا أراد أن يكرن وقوفهم عَرَضاً صفّاً بعد صف ، ويقول لهم المدرِّب : نظموا أنفسكم قِطَارَات ، إذا أراد أن يكون وقوفهم واحداً بعد واحد ، قِطَاراً بجانب قطار . وهكذا احتلت كلمة « القطار » محل كلمة « الطابور » في لغة الجيش ، ولم يَعُدْ لتلك الكلمة الأجنبية في التشكيلات العسكرية وجود .

٧ — وأذكر اسم « وابور الزلط » الذي ثَقُلَ علينا لفظه فقد شَهِدْتُهُ في بعض الطرقات وهو يحمل على جانبه اسماً عربياً وضعْتُهُ له المصلحة الحكومية التابع لها ، وهي « مصلحة المراسات » وإذن فهو « المراس » ونحن لاندري!... وكان يجمعنا اللغوى قد أطلق عليه من قبل اسماً دقيقاً ، له في قديم اللغة مكان ؛ ذلك هو : المِرْدَاس . والاسم المَجْمَعِيّ أَوَّلِي ، لأن الرَّدْسَ هو تسوية الأرض ودَكْهَا ، فأما المِرْدَسُ فهو الكسر والدق ، وهذه الآلة مهمتها الكبرى - فيما نرى - أن تسوَّى وتَدْكُ ، لا أن تكسر وتدق ، ولكن المجاز يقبل مثل هذا التوسُّع . ومهما يكن من أمر ، فقد نهضت كلمة عربية تحل محل « وابور الزلط » فيها ملامح المعنى المقصود ، وإن

كلمة « برافان » . وفي أيام الاستفتاء على الدستور وعلى رياسة الجمهورية — هذا العام — قرأتُ في الإعلانات المبسوطة للشعب في مراكز الشرطة كلمة « ساتر » وبجانها رسم « برافان » ، مع بيان إلى الناخبين بأن يسجلوا رأيهم وراء هذا « الساتر » حتى لا يبصرهم أحد .. وبذلك أصبحت كلمة « الساتر » في معنى « البرافان » كلمة ديوانية شائعة ...



٦ - ولقد ظلت كلمة « الطابور » تؤدي معنى خاصاً هو اصطفاة جمع من الناس واحداً خلف واحد ، « فالطابور » هو الصف الرأسي ، ولكن لفظه غير عربي ، ولا يكاد الكاتب يجد له مقابلاً عربياً شائعاً في الكتابة . بيد أن العسكريين قَبِلُوا ما أشار به عليهم اللغويون من تسمية « الطابور » بالقـمـطـار ، وقد سمع الموظفون وغيرهم من الجماهير كلمة القـمـطـار تدور على ألسنة المعلمين العسكريين في تدريبات المقاومة الشعبية ، تلك التدريبات التي نُظِّمَتْ أثناء العدوان على « مصر » ، هذا العام ، فكان المعلم من جنود الجيش يقول لطلاب التدريب : نظموا

بيت الزينة ، وهذا محل لأدوات « الأسبور » يسمى نفسه : بيت
الرياضة ، وذلك محل لبيع الفاكهة يسمى نفسه : جنة الفواكه ،
وآخر لصنع المفاتيح يسمى نفسه : عالم المفاتيح ... إلى غير ذلك
من أسماء يتفنن في وضعها واختيارها التجار والعارضون .



٤ — ومن أطرف ما يحضرني في هذا الصدد ، مصداقا
لشعور الجمهور نحو التعبير الجميل ، والبيان الخلاب ، أنه قد أذيع
في وقت من الأوقات أن « البرسيم » مفيد للصحة ، وأن عُصارته
تحتوي من عناصر التغذية ما لا غناء عنه . فزَيَّنَ هذا لبعض
محلات العصير أن تقدم كموساً من عُصارة « البرسيم » مخلوطة
بغيرها من ألوان العُصارات ، وإذا كلمة تنجم للتعبير عن هذا
العصير البرسيمى الجديد ، كأنما أريد بها تحليلته إلى الناس ،
وإذا الكلمة شعرية فيها جمال وخيال ، تلك هي : « شراب الربيع » ،
فقرأناها على اللافتات اسماً لعصارة « البرسيم » !



٥ — ومنذ عهد بعيد ، ونحن نبحث عن كلمة عربية تقوم مقام

تقوم مقامها في الأداء .

والصحافة خير مرآة لهذا التطور في المستوى اللغوي العام ،
فيها يطالع المرء هذا الصراع الناشب بين الألفاظ الدخيلة
وما يُقـترَح لها من بديل عربي .

وفي المصالح والمرافق الحكومية ، يأنس الناقد اللغوي رُوحاً
قوياً من الرغبة في تقديم كلمات فصيحة ، لا تلبث أن تألفها
الألسن ، وأن تُشيعها في الأسباب الدائرة بين الناس .

كذلك لا يفوت الناقد اللغوي أن المؤسسات الحرة ، والمتاجر
الشعبية ، والأسواق العامة ، أصبحت تتلفف المصطلحات الفنية
الفصيحة في تسمية ما يتصل بها من الأشياء ، بل لقد أصبحت
تطاول ذلك التطور اللغوي الملحوظ إلى أبعد مدى ، وتستجيب
لمطالب الذوق الرفيع في التعبير ...

في ميادين « القاهرة » وشوارعها ، يتطلع المرء إلى اللافتات
على جبين المتاجر والمحلات ، فيصادف الطريف من التسميات ،
والرشيق من العبارات ... فهنا محل « للمانيفاتورة والخردوات » ،
يسمى نفسه : دار الأزياء ، وهناك محل للحلاقة يسمى نفسه :

في غير ما جَلَمَبة ولا ضجيج .
وما أقدرَ الزمن في سيره على حلِّ المشكلات ! ...

* * *

٢ — لقد شَهِدنا أساندة العلوم والفنون ، وأرباب الحِرَف
والصناعات ، يَسْعَوْنَ سعيهم الحثيث لتأسيس لغة يتوَحَّدُ فيها
التعبير والاصطلاح ، وهم يستعينون الفصحى ويؤثرونها في
أغلب ما يتخذون من تعبيرات ، وما يقرّون من مصطلحات .
وفي كل مؤتمر علمي يعقده أهل الاختصاص ، يبرز موضوع
المصطلحات للدرس والبحث ، وينتهي فيه الرأي إلى الإجماع على
إعلاء الكلمة العربية على مقابلها الدخيل . . .

بل نكاد نجد في كل كتاب علمي يؤلف ، مظهرًا من العناية
بمصطلحاته ، يتجلّى فيه الجُـنُوحُ إلى الإفصاح .

* * *

٣ — وَثَمَّةٌ في الميدان الأكبر ، ميدان الحياة العامة ،
في غير معاهد العلم وأندية الدرس ، يلاحظ الناقد اللغوى ما يستبين
من عزوف عن الكلمات الأجنبية ، ومن خَلَقَ لكلمات عربية

١ - في هذه الحِقة التي أتاحت للبلاد العربية نهضة شاملة
في مختلف المرافق العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، ثارت مشكلة
في اللغة عويصة ، حول المدلولات الجديدة في المعاني والأشياء
والأدوات ، فدارت المساجلات بين الباحثين والكتّاب ممن
يَتَحَنَّنُونَ ومن يترخَّصُونَ ، بينهم من يقول بالتعريب
ويعوّل عليه ، وبينهم من يأتى إلا أن تتخذ من الفصحى مواضع
تقابل الدخيل ، وبينهم من يقف من الخلاف موقفاً وسطاً ،
فيطالب بالمحاولة والمعالجة ، ويميز التعريب إذا ألحت الضرورة ،
وانقطع الجهد .

ولم تتفق الآراء ، ولم تلتق وجهات النظر ، وبقيت المشكلة
تتنازعها أقلام الباحثين والكتّاب ، وهي على حالها من التعمّد
والاستعصاء ...

ولكنّ ما جرّيات الحياة لا تقف حتى تجد من الآراء
وفاقاً ، ومن وجهات النظر المتخالفة تلاقياً ، فقد اختطت لها
في علاج تلك المشكلة خطة عملية فعّالة ، تفرض نفسها

مواليد جديدة...

في لغة الحياة العامة

البورجوازية	: الطبقة المتوسطة ، أو =
بورجوازي	: مُوسِر
الأيديولوجي	: المذهبية المثالية
الأيديولوج	: مثالي المذهب
الطبع بالاستنسل	: الطبع بالانضّاحة ، أو =
الفيترينة للمتجر	: بورق الشمع
جميل الأدب للدهماء	: الوجهة
فن صناعة الفنادق	: تدهيم الأدب
الميزانباچ	: فن الفندقة
(في الصحافة)	: تنسيق الصفحة
مصباح الفلورسانت	: ' أو : التنسيق
دفتر الأوتوجراف	: المصباح المُشع
الأوتوجراف	: دفتر التوقيعات
	: التوقيع

السيكس أيل في المرأة : الجاذبية الأنثوية ، أو :

الأنثوية (أى صفات الأنوثة

وخصائصها)

السيكس أيل في الرجل : الرجولية

(أى صفات الرجولة

وخصائصها)

الشلة من الناس : الشلة

أوريچينال : ابتداعى ، أو : ابتكارى

ستيلو : قلم حبر

ستيلو بلى : قلم حبر جاف

قلم رصاص بلى : قلم رصاص سائل

الماركة : العلامة

الكليشه : الروسم (والجمع : رواسم)

الأكزىما : الأكلة

اليروليتاريا : طبقة الكادحين ، أو :

الطبقة الكادحة

الشجرة	: الجَفَر
متحنشخص	: متحنذلق
الرُّول	: جدول الأعمال
السيمافور (فى السكة الحديد)	: عمود الإشارة
الشنكل (للباب وما إليه)	: المِشْبَك
الهيضة	: الزَّيْطَة
الكوليرا	: الهَيْضَة
الرادار	: الراصد (والجمع : رواعد)
البيك أب (فى الحاكى)	: اللاقط
التلباثى	: انتقال الأفكار
آلة تصوير التليؤ بـجـكـتـيف	: الخاطفة
(Tele — objectif)	
ألبوم الصور	: سِجَل الصُّوَر
الورنيش	: الطلاء
البروفة (فى الطباعة)	: المِسْـوَدَّة أو : المِسْـوَدَّة

باسبور مؤثر عليه	: جواز موسوم
الأسكلة	: المَرْسَى
الكورنيس	: رصيف البحر ، أو : سيفُ البحر
موظف التشريفات	: الآذن ، أو : الآمين
الدوطة	
(المال تقدّمه الزوجة إلى الزوج) : البائنة	
(أما المال يقدّم من الزوج إلى	
الزوجة فهو)	: مهر أو : صدّاق
تبادل المنفعة	: التّفَايد
الفولكلور	: المأثورات الشعبية
الأمبراطورية	: السلطان
الفاسيكول	: الكُرّاسة
اللايرانت	: المتأهة
البقشيش	: المِنْحَة
الأرشيف	: السّجّل

الموديل (مثل موديل لويس

الخامس عشر في الأثاث) : المطراز

المودة : البِـدعة

المشروع الارتجالي غير المدروس : المشروع الاعتسافي

الدراسة بلا خطة مدروسة : دراسة اعتسافية

المشروع الناجز (Imminent) : الفوري ، أو : الناجز

الدوسيه : الإضمامة

المسطح الذي تدرج عليه الطائرة

قبل أن ترتفع : المـدـرّج

البالون (يلعب به الأطفال) : النفّاحة

القطعة من الرمل على الشاطئ

يخشى منها الغرق : المـغـرقة ، وجمعها : مغارق

(Sable mouvante)

التأشيرة في جوازات السفر

أو : (الفيزا) : الوُسمَة

الأثر التذكاري كالعمد أو التماثيل

المقامة لنمجيـد الأشخاص

والأحداث التاريخية : النَّصَب ، والجمع : أنصاب

الطراوة للنسيم (فصيحة)

رد فعل : رَجَعَ طبيعي

الريشـته (للدواء) : تذكرة الدواء

الجنـتلمان : الكيـس

البسـكت : العـجـلة ، أو : الدراجة

الموتوسيكل : الدراجة البخارية

التلفزيون : المـرناة

(من الرنوّ : للنظر والاستماع)

الميكروفون : مُضَخِّم الصوت

الميكروسكوب : المـجهر

طائرة الهليكوبـتير : الطائرة الأحادية ، أو :

أحادية الجـناح

المُسْتَجِدُّونَ	: العُفَاة
اليافطة	: اللافنة
الشارى	: الزَّبُون
وكيل التوزيع للمتجر	: العميل
عصا الشرطى	: المِخَصْرَة
البججوح	: البَحْجُوح
الطاقم	: الزَّمَلَة
المرأة التى تلد الإناث	: مِثْنَاث
المرأة التى تلد الذكور	: مِذْكَار
يسير على غير خطة فى الطريق	: يعتسف الطريق
يسير فى إهمال	: يتسكع
الكهرة من الخشب أو الحديد	: العارضة
صوت غليان الماء فى المرجل	: نشيش المِرجل
الجير	: الجِص ، أو : الحِكْس
السنتطة التى تبدو فى البشرة	: الثُّؤُلُول ، وجمعها : ثآليل

مصطلحات متنوعة

الارستقراط	: السّرة
ريورتاج (في الصحافة)	: الاستطلاعات الصحفية
أنسكلوبيديا	: دائرة معارف ، أو : معلّمة
الطفل سنّ ، أى ظهرت أسنانه	: أسنّ الطفل
بزميط	: هجين
اللبخات	: السّواخن
الترولى بسّ	: الحافلة الكهربائية
الأتوبوس	: الحافلة
اللورى	: الناقلة
الصندل	: الناقلة النهرية
عربة كارو	: عربة كارت
الكمسارى	: التّد كرى ، أو : عامل التذاكر

مصطلحات التجارة وما إليها

تاجر القطاعي	: تاجر التجزئة
تاجر الجملة (صحيح)	
حل المازاد	: سوق المزايدة
تحصيل السلع من الأسواق	
أو (الشوينج)	: التسوق
توزيع السلع على الأسواق	: التسويق
أنواع البيوع :	
البيع بالنقد	: بيع فوري
البيع شكك ، أى بأجل	: نسبيته
البيع أقساطا (صحيح)	
بوليصة العفش	: وثيقة الامتعة
بوليصة التأمين	: وثيقة التأمين
الفاتورة	: رُقعة الحساب

الحقنة أو (السرنج) : المِحقَنَة

البطارية : مشحَن كهرَبى

الوِش : الرافعة

الشاسى (للسيارة) : هيكل السيارة

الاسمنت المسلح : المَسْلَح

السويتش (فى التليفون) : التحويلة

الماكينة : المَكِينَة

(وهى التى تولد القوة وتنشئ)

الحركة للغير : مثل مكينة

الحرث ومكينة الرى . أما التى

تولد قوة حركية ذاتية فتسمى

دآلة ، مثل آلة الساعة)

الماسورة : الأنبوبة

مواسير بخار : أنابيب فَخَّار ، أو أنابيب

كخزفية

مصطلحات الأدوات التي تستعمل في الصناعة وما إليها

الفَرَمَلَة : الكابحة ، أو المَحَوَّة

الدريكييون في السيارة : عجلة القيادة

الكاربوراتور : المَبْخُر

المانيفلا (لإدارة السيارة) : المَدَوَّر

المصباح القوى في السيارة (الفار) : الوّهاج

المصباح الشديد الضوء

(المستعمل لإنارة المباني من الخارج

ولكشف الطائرات) : الكَشَّاف ، أو : المِـكْشَاف

الخرّامة : المِـشْقَاب

الديكتافون : آلة الإملاء

المانشيت (في الصحف) : العُنْوان الضخم

البستون : المِـكْبَس

اللبن الخضّ ، أو الشرش : الخُمُثارة

اللبن الزبادى : اللبّن الرائب أو : الرّوُب

مترد اللبّن : القَعْعَب

البلاصّ أو الزلعة : الجِرَّة

مصطلحات الريف وما إليها
ألفاظ عامية فصيحة

الدَّوَّار
المصطبة
الجُرْن
القُفَّة
المقطف
الزَّكِيَّة
النَّبَّوت
مُجَبْن قريش

ألفاظ عامية وبديلها الفصح

: مُجَبْن رَحْزِرَاح

: المِذْوَد

خبز مَرَحْرَح

المدْوَد

الهوكى	: مُلْعَبَةُ الصَّوْجَانِ
البنج بنج	: كُرَةُ المِنْمَضَةِ
الإستاد	: المَلْعَبُ الرِّیَاضِی
البلياردو	: البليار (مُعَرَّب)

مصطلحات الرياضة وما إليها

سكى	: التزلّاجَة
اللّوج (Luge)	: مزّلق
ترينو	: مركبة ثلجية ، أو : زحافة
باتنوار	: ساحة التزلح
تلفريك	: مركبة جوية ، أو : معلقة
كرىمايّر	: المضرسَة
فينيكولير	: المضعّدة ، أو : القطار الصاعد
حلبة السباق	
(الحلبة معناها : مجموعة الخيل)	: المضمار
يتمرجح فى المرجيحة	: يترجّح فى الأرجوحة
الباسكت بول	: كرة السّلة
التنس	: كرة المضرب

سوريالى	: فوق الواقعى
السيرك	: الملعب الشعبى
الباتوميم	: التمثيل الإيمائى
هنولوجست	: المناجى ، أو : الزاجيل
	(للذكر)
	: المناجىة ، أو : الزاجلة
	(للمؤنث)
البروكة أو الشجر المستعار فى التمثيل	
وفى غميرة	: الجُمة
كازينو	: الملهى ، أو : الكازين
	(جمعها : الكازينات)
	(« معربة »)
الموتاج (فى السينما)	: إعداد المنظر
البروفة	: التدريب ، أو : التجربة
البيانو	: البيان (مُعرب)

الأنتراكت	: الترويجة ، أو : الاستراحة
ستديو الرسم	: المرسَم
ستديو الصنعة	: المَحْرَف
ستديو النحّات أو المثال	: المَمَثَل ، أو : المَنَحَت
الرفران (في الغناء والشعر)	: التَّرجِيعَة
البوز (عند المصوّر والمثال)	: البَوْضَة
فرشة الرسام	: المِرْقَاش ، أو : المِرْقَم
النيجاتيف (في التصوير الشمسي)	: السَّليَّة
الكاريكاتور	: الرِّسْم السَّاحِر
الهاوية ، أو الغيَّة	: المَهْوَاة ، أو المَشْغَمَة
الغاوى	: الهاوَى
المِنياتور أو الصورة المصغرة	: المُنْمِثَة
مذهب ريالست	: واقعي
مذهب كلاسيك	: اتباعي
مذهب رومانتيك	: رومانسي (مغربة)

الكواليس	: دخائل المسرح
السيناريو	: المَشْهُدِيَّة
سيناراما	: الشاشة المجسّمة ، أو : السينما
	المُجَسِّمَة
سينماسكوب	: الشاشة العريضة ، أو :
	السينما العريضة
الماكت	: التصميم
الدوبلاج	: الازدواج ، أو : التزواج
الممثل القائم بعملية الازدواج	: البديل
النكسنيان	
(للحاذق الماهر في حرفته)	: الصَّنَاع
النوتة (في الموسيقى)	: المِثَال
المونولوج	: المُنَاجَاة ، أو : التَّجَوُّي
الديالوج	: الحِوَار
المايسترو (في الموسيقى)	: ضابط الإيقاع

الماكياج	: التخفى ، أو التَّشكُّل
ماكيور (وهو الذى يقوم بعملية التشكل للممثلين وغيرهم)	: الماشط
الرقص الريتميك (التوقيعى)	: الرقص الإيقاعى
حلقة الرقص (البليست)	: بُهرة الرقص
اسكتش (فى الرسم)	: صورة تخطيطية
الهارموني (فى الموسيقى)	: التناسق ، أو : التوافق
الأصوات الغنائية :	
الباس	: الجَهير
الباريتون	: الصَّادح
التينور	: المُصَلِّصِل
الشُّبرانو (صوت نسوى)	: الصَّغَنَّاَجَة
الكومبارس	: البَطَّانَة
الريجسور (فى المسرح)	: مدير المسرح أو : القَيِّم
خشبة المسرح	: المِنَصَّة

تراجيدا	: المأساة
فودفيل	: الملهاة
الفارس	: المهزلة
درام	: الفاجعة
أوبرا	: المُلحَّنة (وجمعها :
	الملحَّـنات)
أوبريت	: الغِنائية (وجمعها : الغنائيات)
الرواية	: المسرحية
الأرجوز	: البُهلول
مسرح الجينيول أو الماريونيت	
للأطفال	: مسرح البهاليل
كباريه	: المستَهَر
بلياتشو ، أو كلاون	: المُهَرِّج
البهلوان أو الشقالباز	: الأَلْعِبَان والجمع الْعُـبَّانُون
حفلة كرنفال	: حفلة تنكرية ، أو حفلة مقنَّعة

مصطلحات المسرح والسينما والفنون الأخرى

البنوار	: المقصورة الأولى (جمعها :
	المقاصير الأول)
اللوج	: المقصورة الثانية أو الثالثة
	(جمعها : المقاصير الثواني
	أو الثوالث)
فوتيل	: مقعد محدد مخصوص ، أو :
	مقعد أمامي أو مخصوص
ستال	: مقعد خلفي
سترا بوتان	: مقعد جانبي
بلكون	: مقعد شرفة
أعلى التياترو	: مقعد علوى
كوميديا	: المَسْـلَاة

الجراج : حَظِيرَة السَّيَّارَات ، أَوْ :

الحظيرة

الإصطبل — للخيل (صحيح)

الزَّرِيَّة — للدواب (صحيحة)

السليخة : المَعْدَبَج :

تلتوار الطريق	: السَّطَوَار
تلتوار القطار	: الرصيف
المقعد الحجري في الزهات	: الصَّفْة
البار	: الحان
الكنتين (معرب)	
العمارة	: المبنى ، أو : العِمارة .
المطبخ	: المَطْطَهـى (وهو أعم من المطبخ في الدلالة)
البرلمان	: دار النيابة
شيش النوافذ	: وصاوص النافذة
بيير السلم	: مسقط الدَّرَج ، أو : مَهـوى الدَّرَج
دورة المياه	: المَطْطَهـرة
المحل العام لغسل الملابس	
(البيوندرى)	: المَغْسَلة

مصطلحات الأمكنة والمباني وما إليها

فاطحات السحب	: الشواهِق (جمع شاهقة)
الفيلا	: المَغْنَى ، أو : الدارة
اللوكاندة	: النَزْل
البالاس	: الفُنْدُق
الأوبرج	: الخان
صالون أدبي	: مجلس ، أو : ندوة
البلكون	: الشُّرفة
التراس (مثل تراس الفنادق)	: المُسَمَّاة شُرَف
الكشك (مثل كشك الحمام أو	
كشك الصحف)	: الظِّلَّة
الكابينة	
(فى الباخرة)	: القَمَرَة (معربة)

مصطلحات الزينة وما إليها

أدوات المانيكور	: أدوات التّطريف
البودره	: المسحوق أو الذّرّور
الكريم	: الدّهان
معجون الأسنان	: السّـنـون أو معجون الأسنان
الدبوس	: النّـصـل أو : الدبّوس
الشعر البوكليه	: المـزـرّفـن
البوكل (أو حلقات الشعر)	: الزّرافين
الشعر غير المضفور	: الخـصـائل (مفردها : خـصـيلة)
الشعر المضفور	: ضفائر ، أو : جدائل
	(المفرد : ضفيرة أو جديلة)
الشعر المجموع إلى الخلف	: العقائص (المفرد : عقيصة)
القـصـّة (فـصـيـجة)	
الحسنة في الحدّ	: الخال
ست الحسن في الحدّ	: النّـوـنة

المكرونة : المقنرونة ، أو : الإطريّة

المنزّة : المنزّة

الشرابات : الشراب

ألبان معقمة بطريقة باستور : ألبان مُبسّطة

الترويقة

(وهى مُعجالة الطعام فى الصباح) : الصُبحيّة ، أو : المُعجّالة

جميع ما يتخذ من العجين : عجائن أو خبائز أو خبزات

مثل مُخبزات مُحَلّاة ومُخبزات مملّحة

الطورطه : الفطيرة

الجاتوه : البسطة (معربة)

الطعام يطهى بطريقة ألبان

مارى ، أو الحمّام الساخن : طريقة التحميم

الأوردوفر : المُشهيّات

الساندويتش : الشّطيرة ، والجمع شطائر

ساليزان (Salaison) : المُمَلّحات

مصطلحات الأَطعمة والأشربة وما إليها

الميتروودوتل	: رئيس السُّفرة أو : الرئيس
	أو : القهرمان
الجارسون	: الغلام ، أو : النادل
السفرجى	: خادم السُّفرة
الخُمُشَاف	: النَتَقِيع
الأشربة الساخنة (Tisanes)	: المَغْلِيَّات
الأشربة الغازية (Gazeuses)	: الفَوَّارات
الحوادر (مثل المخلل وما إليه)	: الحوادر
كالورى (وهى القسوة الغذائية المدخرة فى الأطعمة	
وما إليها)	: وَحدة حرارية ، أو : وَحدة
	غذائية

الكشكشة (فى الثوب)	: التَّزَيَّيَات
ثوب مكرمش	: مُغَضَّن
التايور (للنساء)	: الحلة النسوية
البيريه	: القَلَمَنَسُوَّة
الطاقية	: التَّحْقِيَّة ، أو : الطاقية
الكورسيه	: المَشَدَّ

ثوب غير جديد (نص عمر —	
خرج بيت — سكند هاند)	: اللبَّيس ، أو الخَلِيع
السوتيان ، أو حامل النهود	: المنهدة
الترتر	: اللُّمَّع
لون ساده	: لون مَسِيح : أو : موحد
	أو : ساذج
لون غامق	: أدكن ، أو : قاتم
لون باهت (بهتان)	: ناصل ، أو : حائل
لون فاتح أو صارخ	: فاقع
لون مُطْفِئ	: طافئ
ثوب ثَقِيل	: ثوب صَفِيق
ثوب خَفِيف	: شَفِيف
الشَّبِيب	: الخُفِّف
التزلك	: الجرْموق
قماش مكشكش	: مَشْنِي

الخرملة	: الشَّمْلَة
ملايس الصيف النسوية	: الشفوف ، أو : الغلائل
الطرحة	: الخِمار ، أو : الطرحة ، أو : الدَّصِيف
البيشة	: النقاب ، أو : اللثام
المبرقع (فصيح)	
الروبائيكيا	: الأسقاط
المايوه	: لبوس البحر
الأنسامبل — للبلاج (وهو حلة مكونة من ثلاث قطع ترتديها النسوة على الشاطئ)	: حلة الشاطئ
السويتز	: العَرَقِيَّة
البول أوفر	: الصُّدار الصوفي
البلوزه	: الصَّدرِيَّة
الجواله	: الدَّصْفِيَّة

مصطلحات الملابس وما إليها

البذلة أو : الحُلَّة	البذلة
السَّـرْبَال	البنطلون
الســترة	الجاكـتة
الصَّدَّار	الصديري
السَّـروال	الكلسون
المنامة	البيجاما
القَبَـاء	القفطان
الطَّيـلسان	الجبة الواسعة
المسُوح (ومفردها: مسح)	الفرّجية (فضيحة)
المطرَف ، أو : الشال	ثياب الزهاد الخشنـة
اللَّـفـاع	الشال
	الكوفية

- المصباح الليلي السهارى أو (الفيون)
 أو اللمة السهارى أو شمع الليل : السَّاهرة أو : الوامِضة
 فَلَـة الزجاجة : السِّداد ، أو : الصِّامة
 البريمة : البزال
 الفتَّاحة : المنزعة
 الكنكة (للقهوة) : إبريق القهوة
 الفنجان : القدح أو : الفنجانة
 الشفَّاطة (وهى أداة تستعمل
 لسحب اللبن من الثدي) : الشافطة
 الأداة التى تَقْمِضُ بها صحائف
 الكتب (كوب باييه) : المِقطَع
 البانيو : الحوض

البنوهات	: إطارات الحائط
الكلوب (للإضاءة)	: المِئوار
البرفان	: السّاتر، أو : الحجاب، أو : الدّريئة
الترموس	: الزمزية
ريشة التنظيف	: المِهْفَة
مكان الدفء (الشمينيه)	: المصلى أو المدفأة
آلة الغسل	: الغسّالة (كهرية أو غير كهرية)

المواقد :

موقد الفحم أو الخشب	: الكانون
وابور الغاز	: موقد النّفط
وابور السبرتو	: موقد الكحول
وابور المطبخ	: موقد الطهو

بريزة (من أدوات الكهربا) : المَقْبِيس

الكوبس : القابس

الفازة (للزهر) : الزَّهْرِيَّة

قصريّة الزرع : الأصيص

حوض استنبات الزهر (للشتل) : المَزْهَرَة

المرتبة : الحَشِيَّة

المخدّة : الوسادة ، أو : المخدّة

الشلّة : النُّمْرُوقَة ، أو : الشُّكَاة

البطّانية (فصيحة)

الدُّحاف (فصيح)

الكوفرة : الدُّنار

الباركيه (وهو قطع من الخشب

قبسط على أرض الغرفة) : البركي (معرب) أو :

المُعَشَّق

الابلجاج : رقائق الخشب

مصطلحات أثاث البيت وما إليه

سرير الطفل	: المِهْزَـز
الشيزلونج	: الأريكة
الكنبة	: المَتَكَا
دولاب الملابس	: الصُّوَان
دولاب الكتب أو النقود أو الطعام	: الخِزَانَة
ترايزة	: المِنْضَدَة ، أو النضد
ترايزة السفرة	: المائدة ، أو : السُّفْرَة
ترايزة التزين	
(وهي التي يطالق عليها اسم تسريحة)	: التسريحة أو خِوَان الزينة
الكرسى الرئيسى فى المحافل والمجالس	: التَكْرِمَة
باكتة	: رِزْمَة ، أو : لَفِيفَة
الفوتيل	: الوثير

كلمات الحياة العامة

والمعاني المستحدثة في حياته العامة ، مما يقع لعينه أو سمعه ، أو يشعر به في ذات نفسه . والكاتبون يعالجون ذلك بكل سبيل . طوراً يستعيرون كلمة أجنبية على كره ، وطوراً ينقلون كلمة عامية ، وإن شاه وجهها في مساق التعبير الفصيح ، وحيناً يعالجون اشتقاق كلمة جديدة وإن كانت غريبة المفهوم للقارى لا يتأدى إليه معناها المراد . فعلينا إذن أن نتجه بالكثير من الجهد والسعى إلى تسمية الأشياء والمعاني التي تعرض للكاتب في تعبيره وتصويره ، وأن نبسط بهذه الأسماء أيدينا لجمهرة المثقفين في أوسع مجال ، حتى يتعرفوها بمدلولاتها ، فلا يجد الكاتب من حرج في استعمالها والتعبير بها عن تلك المعاني والأشياء .

(٨)

وفي هذه العجالة أسوق طائفة من كلمات الحياة العامة ، منها ما أقترحه للمعنى العصري الذي أبلغته ، ومنها ما وقع لي في بعض القراءات والمطالعات ، وأرجو أن تكون هذه الكلمات موضع النظر ، عسى أن تأخذ سبيلها إلى الشيوع .

تعقيدات النحو والصرف ، وفي مصاعب ضبط الأوزان والصيغ ،
وفي قيود وسائل الوضع والاشتقاق ، وأن تتألف من الكلمات
العامة ما يسوغ توجيهه أو « تفصيله » إن صح هذا التعبير ، ففي
العامة ألوف من الكلمات نجدها حقها ، ونتركب عن استعمالها ،
لمجرد أنها عامة ، ولو أردنا أن نرد إلى الفصحى نسبها لبلغنا بها
الغاية . مثل : شاف بمعنى نظر ، والطاروة بمعنى رخاوة النسيم ،
والهمة بمعنى بقية القوة ، إلى كثير من النظائر والأشياء .

كذلك يهفو الرأي العربى العام إلى التخفيف من غلواء التباين
اللغوى بين أمم الناطقين بالضاد ، سواء فى لغة الكتابة أو فى
لهجات الحديث ، ولا ريب أن عوامل التواصل بين هذه الأمم
بالتبادل الثقافى ، وبالمؤتمرات والرحلات ، وبالصحافة والمذيع ،
كان لها أثر واضح فى تحقيق ذلك الغرض المنشود ، وسيزداد هذا
الأثر وضوحا وشمولا كلما قويت عوامل التواصل التى يطرد نموها
على الأيام .

وثمة حاجة عامة يشعر بها الكاتب العربى المتشوف إلى
الإفصاح ، تلك هى حاجته إلى الكلمات التى يعبر بها عن الأشياء

الغيرة والحرص والحفاظ ، وألا يدخروا وسعاً في إظهار الفصحح ،
وفي تقريب مناله من الجمهور ، فإن لم يستطيعوا تعيين درجة الاعتدال
في هذا الإيثار والتقريب ، فلا ضير عليهم أن يكونوا إلى الإفراط
أميل منهم إلى التفريط ، تاركين لمهمة الزمن ، ولطافة الوعي اللغوي ،
ولرهافة الذوق العربي العام ، أن يكون إليها مرد الحكم والتصفيحة ،
تأخذ من فصيح المواضع ما تأخذ ، وتستبقى من العامي والدخيل
ما تراه أهلاً للاستبقاء .

(٧)

لا خشية على الفصحى إذن من النشاعة عليها ، ومن الدعاة إلى
اتخاذ العامية مكانها ، فالتفسير الصحيح لهذا النعي وتلك الدعوة أن
الرأي العربي العام ينبغي تيسير الفصحى حتى تدنو من منال الجمهور
في غير عناء ، وأن تخف حدة التفاوت بين الفصحى : لغة التدوين ،
والعامية : لغة الحديث ، فإن لم تكن لغة واحدة يتخذها الجمهور في
خطابه وفي كتابته على السواء ، فلا أقل من أن تتضايق الفروق بين
اللغتين ما أمكن التضايق ، وأن تتقارب الشقة بينهما ما أمكن التقارب .
وسبيل ذلك أن نواصل تذليل عقبات الفصحى التي تتمثل في

وأن تكون هذه الفصحى لغة تعبيره في شتى مرافق الحياة .

كثيراً ما يتأثر رجل اللغة بما يلوح له من ظواهر سيادة الكلمات العامية أو الدخيلة في عهد الراهن ، ويرى لزماً عليه أن يذعن لتلك السيادة ، وأن يتهيب اقتراح فصيح العربية المؤدى لما تؤديه تلك الكلمات العامية أو الدخيلة من المعاني والدلالات ، وربما استشعر مجمعا اللغوى كذلك أن ألفاظ الحياة العامة الدائرة في أفواه الجمهور العام حقيقة بالقبول أو التسجيل ، دون استحياء مواضع جديدة ربما تعذرت إشاعتها بين الناس ، أو انجبتهم الحكم على مستقبلها : أتسوغ على الألسن أم لا تسوغ ؟

يُـدَّ أن تأثر رجل اللغة هذا التأثير ، واستشعار المجمع اللغوى على ذلك النحو ، يجب أن يكون بأقل مقدار ، وأن يجرى في أضيق الحدود ، وأخشى ما أخشى أن تتجلى لنا الحقيقة الكامنة ، فإذا نحن نرى رجل الشارع أشد غيرة على اللغة من رجل اللغة ، وأن نجد الكاتب حين يعبر عن ذات نفسه ، وحين يصف ما يهدف إلى وصفه من المراتب ، أقوى حرصاً على الإفصاح من المجمع اللغوى . وأخـجـى رجال اللغة وبالمجمعيين أن يكونوا هم مناط

إن الكلمة العامية الدارجة خليقة أن نتخذنا ، فنتميل إلى أن
تقبلها ، وأن نفسح لها ونسجلها ، لأنها دارجة تستمد الحيوية
بهذا الدروج ، ولكن النظرة الفاحصة في المجتمع العربي ، واستظهار
الروح السارية والوعى السائد في مستوياته العامة أو في مستوياته
الخاصة ، يكشف لنا أن هذا الدروج الخداع للكلمة العامية محدود
بلغة التخاطب ، موقوف على الاستعمال العادي ، موسوم أحياناً
بالابتذال ؛ مهرد بالاضمحلال والزوال . فإن الكلمة المقابلة
الفصيحة لا تكاد تبدو سائغة في الذوق حتى يتقبلها الناس ،
وإذا هي شائعة في البيت والمتجر والسوق .

وأكد أجزم بأننا إذا قبلنا اللفظ العامي أو الأجنبي الدارج .
فسجلناه مسارعين ، لم يقع هذا الصنيع من الرجل المثقف ، بل من
رجل الشارع . موقع الاستحسان . وسرى هذا الرجل المثقف ،
بل نرى رجل الشارع ، حريصاً كل الحرص على أن يتصيد كلمة
فصيحة تحل محل الكلمة العامية أو الأجنبية ، ومتى عثر عليها
أنس بها وعمل على إشاعتها بكل ما أوتي من جهد ، مدفوعاً بذلك
الوعى الدافق ، وعى السمو إلى أن يكون لسانه مطبوعاً على الفصحى ،

من الكتاب والنقاد ، هاتان الكلمتان هما : الهاتئ والحافلة .
الأولى تستعمل مكان « التليفون » فى كل مكان ، والأخرى تكتسب
بالخط الجلى على السيارات العامة التى تسمى « الأوتوبوس » .

(٦)

علينا إذن ألا نعطل ظهور الانمظة الفصيحة بحجة أنها غير
معروفة ، وأن مقابلها العامى أو الأجنبى شائع صقله الاستعمال .
فهذه حجة تدحضها الأمثلة البعيدة والقريبة ، فى الماضى والحاضر ،
إذ تداول الجمهور كلمات كانت بادية بدء موضع الاستغراب ، بل
هدف السخرية والاستهزاء ، واستبدل الناس بما كانوا يألفون
من الكلمات العامة والأجنبية كلمات جديدة طريفة ، أصبحت
هى المألوفة المألوسة التى لا يصطنعون غيرها حين يعبرون
وحين يكتبون .

ليكن عملنا إذن إزاء الكلمة الفصيحة أن نهى لها فرصة
التعرف ، وأن نمهد لها طريق الشيوع ، فالجمهور يجد فى نفسه
الحاجة إليها ، ويضمّر التعلق بها ، ولن يمضى عليها طويل وقت
حتى تكون لها الغلبة على مقابلها العامى أو الدخيل .

نزوع إلى الإفصاح ، ومن رغبة فى تسويد اللغة العربية ، حتى تكون لها الكلمة العليا فى مجال التعبير .

الجمهور العام يهفو إلى الفصيح من الألفاظ ، ويعمل على إشاعته ، طوعا لذلك الوعى الذى يملك عليه أقطار نفسه ... إنه يأنف من الكلمة الأجنبية أيما أنفة ، ويضيق بالكلمة العامية أيما ضيق ، ويجد هواه مسوقا إلى إشار الكلمة الفصيحة ، فهو يتلقفها ويتناقلها حتى يبلغ بلافته مستوى لغة الثقافة التى يتفاهم بها الخاصة من أهل الرأى والتفكير .

وردت علينا كلمات « البسكليت » و « الأوتوموبيل » و « التلغراف » وغيرها من الكلمات الدخيلة ، فتصدت لها كلمات عربية أو أدنى إلى العربية تحاول إجلاءها ... كلمة « البسكليت » زاحمتها العجلة والدراجة ، وكلمة « الأوتوموبيل » زاحمتها العربى والسيارة ، وكلمة « التلغراف » زاحمتها البرقية ، ولن يكون مصير هذه الكلمات الثلاث إلا الجلاء !

زرت فى صيف هذا العام « سورية » و « لبنان » ، فإذا كلمتان شاعتا لم يكن أحد يقدر لهما الشيوع ، يوم نادى بهما من نادى .

بل إن رجل الشارع ، إذا تحدث إلى بعض المثقفين فيما يهمه ، أخذ نفسه بالترفع بأسلوبه بقدر ما في طوقه أن يترفع ، فتراه يعالج في حديثه أن يهذب عبارته . وأن يدنو بها من الفصحح ما استطاع إلى الدنو سبيلا .

كتب إلى بعض المتصلين بي في شأن مطالب منزلية ، فإذا هو يستعمل كلمة متكأ ، وكلمة مهفة ، ولم يشأ أن يكتب كنبه ، وريشه ، على حين أنه يستعمل هاتين الكلمتين العاميتين إذا تحدث حديثه المؤلف ، وذلك اعتقاد منه بأن للكتابة ألفاظاً وأساليب غير ما للغة الكلام من ألفاظ وأساليب .

وفي شارع كبير من شوارع القاهرة ، رأيت كلمة «أرائك» تزين جبين محل لتنجيد المقاعد والكراسي ، مع أن هذه الصناعة يعبر عن صاحبها بكلمة «منجد» ، وهي كلمة عربية فصيحة ، ولكن شيوعها في العامة ، وابتذالها في الاستعمال ، بعث هذا المنجد المتأنق على أن يتجنبها عنواناً له ، وأن يتخذ كلمة فصيحة جديدة تشعر الناس بأنه فنان غير مبتذل ، فهو يخاطب هواة الفن الرفيع بلفظ رفيع . لا سبيل البتة إلى إنكار ما يضطرم في البيئات العربية كلها من

العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعاً . وفي هذا الاستمساك
تلتقى مشاعرنا الطبيعية لحماية أنفسنا في معترك تنازع البقاء .
عبث إذن أن تقاوم تلك الظاهرة الاجتماعية القوية ، ظاهرة
التسكتل اللغوى بين أمم الشرق والعروبة ، فمقاومة العوامل الواشجة
في طوايا المجتمع مقاومة مآلها إلى الخيبة والإخفاق .

(٥)

المثقف ونير المثقف كلاهما قد استقر في وليجة نفسه أن هناك
لغتين : لغة كتابة وتدوين ، ولغة تخاطب وحديث . فهو إذا تكلم
ألقى كلامه على السجية ، عفو الخاطر ، باللهجة العامية الدارجة ،
وإذا انبرى يكتب واصفاً أو معبراً عن ذات نفسه ، تمياً لاختيار
ألفاظه ، وتكوين جملة ، مراعيّاً كل ما يقتضيه البيان العربى
القويم ، وكأنه بذلك يصقل قوله ، وينسق تعبيره ، لى يسمو إلى
ذلك المناط المرموق ، مناط الفصحى ، فتراه عزوفاً عن اصطناع
ما يجرى فى الحديث الدارج من كلمات ، محاولاً جهد إمكانه أن
يتخذ الألفاظ الفصاح ، وأن يستبدلها بما يدور فى الحياة العامة
من تعابير .

ولعل الأمم الشرقية والعربية أولى الجماعات البشرية بأن تأخذ نصيبها من فكرة ذلك الترابط اللغوى ، وأن تتألف منها أديراتورية اللغة العربية .

لقد تعاونت عوامل طبيعية على أن تتخلق الأديراتورية العربية السياسية فى عصور التاريخ ، وضمت هذه الأديراتورية أقطاراً شاسعة ، وأطرافاً قاصية . وازدهرت ما شاء لها تصاريى الأيام أن تزدهر ، ثم تناصرت عوامل طبيعية أيضاً على أن تضمحل تلك الأديراتورية السياسية الكبرى ، مخلقة وراءها دولا لغتها الفصحى .

فإذا كانت الأديراتورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهى قائمة فى مظهر لغوى يربط بين من ضمت من أمم وشعوب ، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخافية على استبقاء رباطنا الأديراتورى فى صورة اللغة العربية ، وكأنا بهذا الرباط نحى أديراتوريتنا الزائلة ، على نحو يلائم ملابساتنا الحاضرة . فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الأديراتورية التى تتجمع فيها أجادنا التليدة ، وإننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا

الميدان السياسى، وقامت على أنقاضها أديراتورية لغوية وارفقة الخلال، ومن أطراف هذه الأديراتورية يقوم تكامل ثقافى عماده اللغة الإنجليزية، على تفاوت بين تلك الأطراف لا يعدّ به فى تقويم اللغات. ومن أمثلة الأديراتوريات اللغوية تلك الأديراتورية التى تتألف من شعوب تتكلم اللغة الألمانية فى ألمانيا والنمسا والجانب الأكبر من سويسرا، فعلى الرغم من تعدد هذه الأوطان تترابط شعوبها بلغة واحدة. وهنالك الأديراتورية اللغوية الفرنسية، إذ تتكون من فرنسا وبلجيكا وجانب من سويسرا، إلى غيرها من رقاع الأرض. والأديراتورية اللغوية الأسبانية التى تشمل فى أسبانيا والمكسيك وأمريكا الجنوبية. واللغة البرتغالية التى نراها مستعملة فى البرازيل. إلى غير ذلك من أشتات الأمثلة والصور.

ولامرية أن لوحة اللغة أبلغ الأثر فى تقريب الاتجاه الثقافى، وقد خبرت ذلك فى أثناء تجوالى فى المناطق السويسرية المختلفة العناصر واللغات، فكل منطقة منها تمنح فى تفكيرها وثقافتها وأهوائها إلى الأم الكبرى التى أضعها بلبان اللغة، وإن كان طابع الأمة السويسرية على اختلاف مناطقها طابع وحدة واستقلال.

إليها كل من يؤمن بكتاب الله ، بل كل من يؤمن بما فيه من بيان ممكن ، وهذا المنار هو الذى حفظ الفصحى فى مواضى الحقب ، على توالى السَّيَر ، وهو الذى يحفظها على مر الزمان ، ما بقى فى الناس إيمان . على أن ثمة سبباً متيناً يرجع إلى ظاهرة اجتماعية واضحة ، ذلك السبب المتين هو الرغبة فى الترابط اللغوى بين الأمم المتشابهة والمتقاربة ، وهو ما نسميه الأمبراطورية اللغوية فى مجتمع الناس . لقد زالت الأمبراطوريات السياسية بزوال الملابس التى عملت على تكوينها بين جماعات الأمم ، ولكن يبدو أن فكرة الأمبراطورية أصيلة فى الطبع البشرى ، ومبعثها فى الواعية الخفية للإنسان هو النزوع إلى شكل من التآزر والاتحاد ينفذ القوة والمنعة ، فلا غنية للأمم عن ترابط فى مرفق من مرافق العيش ، أو منحة من مناحى الحياة ، سواء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وسواء فى مطالب العيش والعقل والنوق والوجدان .

وفى عصرنا الراهن تتجلى لنا الأمبراطورية اللغوية أقوى ظواهر الترابط بين الأمم والشعوب ، فهى تسكتل للغات يخلف تسكتل العناصر والأجناس والأوطان فقد تقلص ظل الأمبراطورية الإنجليزية فى

ما دلالة الهمّاتف بالعامية بين حين وحين ؟ إن العامية تعيش بيننا في حياتنا العامة عيش الإمرة والسلطان ، بها نتحدث ، فإذا تناولنا الأقلام لنكتب ، أو وقفنا على المنابر والمنصّات لنخطب ، صغنا أفكارنا وأحاديثنا في عبارات فصاح .

والهاتفون بالعامية لا يهتمفون بشيء يتقاضا أن تتعاطاه ، وأن نجهد في تعرفه ، وأن نتخذ الوسيلة لإحسانه ، وكان حريا أن نستجيب لهذا الهمّاتف لو أردنا لأنفسنا اليسر ، فالفصحى تجشمننا كلفة التعلم ، وتريدنا على معالجة التعبير بألوان التجربة والمراس ، والعامية في متناول أفواهنا لامشفة فيها ولا عسر ، ونحن مستطيعون أن نجرى بها أقلامنا دون تكلف أو معاناة .

وإذن فدلالة الهمّاتف بالعامية أن ثمة أسباباً تعصم الفصحى من أن تقضى عليها العامية ، وأن الهاتفين بهذه العامية يناهضون تلك الأسباب ، وينشدون ألا يقام لها في التقدير ميزان .

(٤)

كثيرة هي الأسباب التي تمنع الفصحى أن تنتقض ، وتمنع العامية أن تكون لها في ميدان الكتابة دولة التعبير . في طبيعة الأسباب هذا القرآن العظيم ، منار الفصحى الذي يهدي

أضعف منها شأناً ، فإذا الأمة الغالبة تمازج الأمم المغلوبة وتدامجها ،
 فينتج من بينها جميعاً سلالة ناشئة ذات خصائص تملئها بيئة جديدة ،
 فيختلف في تقديرها المحافظون والمعتدلون ، يقول المحافظون :
 هذا فساد وانحلال ، ويقول المعتدلون : هو تطور وتحول وامتداد .
 ومهما يكن من الخلاف في تقدير العامية بين الأنصار والخصماء ،
 فالصراع بينها وبين الفصحى واضح المصير . وليس النعسي على
 النصحى والإفاضة في مشكلاتها إلا برهاناً ساطعاً على أن العامية
 قد أفلست في محاولة امتلاكها ناصية التعبير الكتابي في مجال
 الثقافة والفكر ، وأن الكأس في يد الفصحى ، كأس الغلبة
 والانتصار . رضىناها لغة لحياتنا العلمية والأدبية والاجتماعية
 على اختلاف المناحي والفروع ، وما نعيها علينا ، وإفاضةنا
 في تبيان مشكلاتها إلا نزوع عميق إلى إصلاحها والنهوض بها
 والسعى إلى تطويعها واستدامة حياتها ، حتى توافي مطالب العلوم
 والفنون والآداب ، وتلائم حاجات الحياة في العصر الحاضر ،
 وتستطيع أن تكون أداة طيعة مرنة لا يستعصى اتخاذها على جمهرة
 الشعب ، لكي تؤدي لها رسالة التعبير في سهولة ويسر .

اللغة القومية ذات سيادة وسلطان ، وما برحت تلك الدعوة تراود أحلام جماعة من الكتاب والأدباء والعلماء ، وفق الملابسات والأحوال ، حيناً تبدو ، وحيناً تخفى ، فإذا ترددت اليوم أصداؤها . فما ذلك إلا رَجْع طبعى من إحياء العهد الوطنى الجديد ، ذلك العهد الذى يستعلى فيه الروح القومى إلى أبعد مدى . ويستكمل مشخصاته على أوسع نطاق .

على أن علماء اللغة ونقادها يختلفون فى تقدير اللغة العامية كبير اختلاف ، فطائفة منهم يرون العامية فساداً للغة الأصلية وانحلالاً ، وطائفة آخرون يرونها تطوراً واستحالة ... وبهذين التقديرين يتميز خصماء العامية وأنصارها ، ولكن خلاف النقاد والعلماء فى التقدير لا ثمرة له فى مصير اللغات واللهجات ، فكأين من لغة أصيلة لم يكتب لها البقاء ، ولكن بقيت لهجاتها تغالب عوامل الفناء ، وكأين من لهجة مشتقة غلبت على أمرها أى غلبة ، فلم تستطع فى معترك اللغة الأصلية أن تعيش .

شأن اللغات واللهجات فى هذه الناحية شأن الأمم والشعوب ، فرب أمة متفردة بما لها من طباع وخصائص ، تغلبت على أمم أخرى

فى تلك الدعوة ، فهل هى ثورة على اللغة ؟ أو هى ثورة لها ؟
أثورة هى للقضاء على الفصحى ، وإحلال العامية محلها ؟
أم هى انبعاث لطلب الإصلاح والتيسير ، حتى تسير اللغة
مطالب العيش والفكر فى مرونة وطواعية ؟

(٣)

أما الدعوة إلى استبدال العامية بالفصحى ، فهى دعوة ترجع
إلى عشرات من السنين ، فقد نودى باتخاذ العامية أداة للتعبير
الكتابى ، كما هى أداة للتخاطب والحدىث ، وما زلنا نسمع النداء
باتخاذها فى الفينة بعد الفينة يتجدد ويتردد . وقد كتبت بالعامية
الأزجال والأناشيد وبعض المسرحيات والأقاصيص ، وما فتئت
تكتب بها حتى هذه الساعة .

وفى معتقدى أن أسرار الدعوة إلى اتخاذ العامية فى التعبير
الكتابى كانت ترجع أكثر ما ترجع إلى أعراق سياسية قومية ،
فإن هذه الدعوة بزغت مع فكرة تقويم الشخصية المصرية المحدودة
بحدود الوطن الجغرافى . ورافقت نماء الدولة المصرية المستقلة
بكيانها فى العالم السياسى ، فكان من عناصر هذا الاستقلال أن تصبح

(٢)

لا بدع إذن أن تأخذ اللغة العربية حظها من ذلك التساؤل والاستخبار ، وأن يجرّد الكتاب أقلامهم دعاة إلى البحث في شأن هذه اللغة :

أوافية هي بحاجة أهلها ؟

أمطوَاعة هي في أداء رسالتها ؟

ألا نستبدل العامية بها ؟

ومن هؤلاء الكتاب من يحاولون في دعوتهم أن يستصفوا نفوسهم مما يترسب فيها من سلطان الفصحى على النفوس ، وأن يبعثوها دعوة جهيرة حرة ، تنشد انقلاباً لغوياً يسير مجرى الوعي العالمى الجديد .

ليست مصنوعة ولا متكلفة هذه الدعوة الشعواء ، فهي وليدة الشعور الغالب بأن الفصحى صعبة المرتقى ، عصيّة المنال .
وأنها ليست طيعة كل الطوَاعية ، ولا مرنة كل المرونة ، لملاءمة حاجات الحياة في تطورها الدءوب .

وإذن فهنالك ثورة حبيسة تضطرم ، وهذا وميضها يستبين

من الزمن ، ومهلة من التدبير . وما هذه الفسحة والمهلة إلا فترة
الخيرة والاضطراب التي هي طابع عصرنا المشهود .

إنها حرب ، وإن كانت بغير سلاح ، حرب أشد ضراوة
من حروب الحديد والنار ...

هي حرب الأفكار التي يجيش بها الوعي الباطن ، فيتمخض
عنها الوعي الظاهر ، حرب توقظ الكمين من مشاعر النفوس ،
فإذا هي رغبات ومقاصد وأهداف .

في أتون هذه الحرب تنصهر مناهج حياتنا في دنيانا القائمة ،
وتتخلق منها دنيا جديدة ، لا ندرى أى دنيا تكون ؟ ! .

ولئن دلت هذه الحرب على شيء ، إنما تدل على أننا بإزاء
حيوية دافقة ، وبقظة عارمة ، ووعي جديد لكل ما في الحياة
من قيم ومفاهيم ... فالكائن البشرى اليوم في مفترق الطرق ،
يتلفت سائلا :

أتراه في سيره على رشد ؟

ألا من سبيل إلى غد أحفل بالخير للإنسانية ، وأدنى
إلى رفاهية ورغد ؟ .

(١)

اللغة العربية اليوم في محنة واختبار ، عليها تدور الأحاديث ،
وفيها تنازع الآراء ، وحولها يتخالف أهلها : فريق منها
يظنون بها الظنون ، وفريق آخرون يجادلون عنها خشية أن يهون
سلطانها في مجال الإبانة والتعبير ...

ليست اللغة العربية وحدها هي التي تبوء بذلك اللون من الحيرة
والاضطراب ، فالكون كله في عهد مضطرب حائر ، قواعده
تتخسف ، وقمه تهوى ، كأن زلزالاً عنيفاً يدور بهذا العالم
في أوضاعه وأنظمته جميعاً .

هذا عصر انقلاب لا ريب فيه ... ويد الانقلاب تتناول كل
مقومات الحياة بالتمحيص في غير هوادة ولا رفق . تنقض منها
ما تنقض ، وتستبدل بها ما تستبدل . لا تبالي من شيء ،
ولا يستعصم منها شيء .

وإن هذا الانقلاب ليمضي في قوة وصرامة ، في يده معول هدام
لا تكاد تلاحقه العيون ، مخلفاً وراءه فراغاً يتطلب تعميره فسحة

- يجب أن نتريث في تسجيل العامى والدخيل .
- أيكون رجل الشارع أحرص على فصيح اللغة من رجل اللغة ؟

- الرأى العربى العام يبنى تذليل عقبات الفصحى .
- فى العامية ألوف من فصيح الكلمات يجب أن نتألفها .
- التخفيف من التباين اللغوى بين أمم الناطقين بالاضاد .
- تسمية الأشياء التى تدور فى الحياة اليومية .

- نصيب اللغة العربية من عصر الانقلاب .
- أدعوة إلى إصلاح الفصحى ، أم إلى انقلاب لغوى ؟
- ماضى الدعوة إلى اتخاذ العامية .
- أمرار قومية وراء هذه الدعوة .
- اختلاف النقاد فى تقدير العامية : هل هى تطور أو فساد ؟
- مدلول الصراع بين العامية والفصحى ومصيره .
- أسباب قوية تمنع الفصحى أن تنتفض .
- أمبراطورية اللغات تختلف عن أمبراطورية العناصر والأجناس والأوطان .
- أمبراطورية اللغة العربية بعد الأمبراطورية العربية السياسية .
- الإيمان بأن لغة الكتابة غير لغة الحديث .
- رجل الشارع يسمو إلى الفصحى .
- الكلمات الفصاح تزاخم الكلمات العامية والدخيلة .
- علينا أن نهىء للفصحى فرصة التعرف .

سلطان اللغة العربية

رأى فى الصراع بين العامية والفصحى

كَمَا يَتَوَافَرُ لِلْكِتَابَةِ غُنْمٌ مِنْ تَعْمِيمِ
الضَّبْطِ بِلَا عَنَاءٍ .

وَأَقْتَرَحُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الَّتِي نَقَّصْتُ
عَلَيْهَا مِنْ صُورِ الْحُرُوفِ هِيَ الصُّورَةُ الَّتِي
تَقْبَلُ الْإِتِّصَالَ مِنْ بَدْءِ الْكَلِمَاتِ ، وَهِيَ
الَّتِي يُسَمِّيَهَا أَهْلُ فَنِّ الطَّبَّاعَةِ : حُرُوفًا
« مِنْ الْأَوَّلِ » . عَلَيَّ أَنْ تُؤَثَّرَ الْكَافُ الْمُبْسُوطَةُ
وَأَنْ تَظَلَّ حُرُوفُ الْأَلِفِ وَالذَّالِ وَالرَّاءِ وَالزَّايِ
وَالْوَاوِ وَالنَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ وَاللَّامِ الْإِفِ بَاقِيَةً
عَلَى صُورَتِهَا فِي حَالَةِ إِفْرَادِهَا .

وَهَاهُ وَذَا نُمُودُ جِهَاتِهَا فِي صُنْدُوقِ الْحُرُوفِ
الْمَطْبَعِيِّ :

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض
ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

صَحِيفَةُ الْمِثَالِ

أَرَيْتَ أَنَّ نَقْصَ تَصْرِيرِ مَنْ صَوَّرَ الْحُرُوفَ عَلَى
صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ لِصُنْدُوقِ
الْحُرُوفِ الْمَطْبَعِيَّةِ عَيْنُونَ لَا تَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِينَ
عَدًّا . فَتَدْخُلُ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنُونَ الَّتِي تَزِيدُ
عَلَيْ ثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَنْتَ تَتَّخِذُ عَلَامَاتِ الضَّبْطِ
الْمُتَعَارِفَةِ الْجَارِيَةِ بِهَا الْإِسْتِعْمَالَ ، وَسِيرَ حَبِّ
بِهَا صُنْدُوقِ الْحُرُوفِ الَّتِي تَخْفَفُ مِمَّا كَانَ
يَغْصُ بِهِ مِنْ الصُّوَرِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِلْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ
وَأَنْفُسَ حَتَّى جَوَانِبِهِ لِتَقْبُلَ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ فِي
غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عُسْرِ . وَطَوَّعًا لِهَذَا يَتَوَافَرُ
لِلطَّبَاعَةِ غَنَمٌ مِنَ السَّهْوَةِ وَالْتِيْسِيرِ ،

وسينشأ تَجَمُّعًا لذلك عامل نفسي لتأييد تعميم الضبط
في سائر المطبوعات ، هو عامل التَّأَسُّس والاقْتِدَاء ، عامل
التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تشبُّهًا
بما تُخْرِج وزارة التربية والتعليم من كتبها في كُتُبِي موادّ
العلوم والفنون والآداب .

ويومئذ يتحقّق غرض منشود ، سَعَى إليه « مجمع اللّغة
العربية » ، وابتغى إليه الوسيلة ما وَسَّعَهُ أَنْ يَبْتَغَى ، ذلك
هو تعميمُ الضبط في الكتابة العربية على نحو ميسور .

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة التي نراها حلاً للمشكلة الفنية المطبعية في ضبط الكتابة ، طريقة ميسورة ، لا تقف في سبيل تنفيذها عقبة ، فإننا لا نستطيع أن نلزم بها الأمة العربية إلزاماً ، ولا أن نفرضها على المطابع فرضاً . ولكن يجب أن ندعو إليها دعوة عملية طبيعية تُركبها عند الناس ، وتحدوهم على اتخاذها بالسّووع والاختيار .

ولعل أهدى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة التربية والتعليم طبع كتبها التعليمية في مختلف المواد والمراحل ، وافية الشكل ، صحيحة الضبط ، بهذه الطريقة الهيئـة الميسورة . ولن تجد الوزارة في سبيل ذلك ما كانت تجد من مصاعب فنية ، وعقبات مطبعية ، حالت بينها وبين تعميم الشكل في كتب التعليم .

فإذا ألزمت وزارة التربية والتعليم نفسها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزاً على اتخاذ تلك الطريقة في محيط الجمهور .

عثراته في فوائح الطريق ، حتى يستقر الأمر ، وتستتب الحال .
 فلا ريب في أنا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيدشيع
 بيننا خطأ كثير ؛ إلا أن هذا الخطأ سيقبل ويضمحل على توالي
 الزمن ، وفاقاً لنتبع النفاد ، والرغبة في توخي الصواب .
 ولا ريب كذلك في أن الأمر سيقضى تخصيص طائفة من البصراء
 باللغة للإشراف على كل ما تُخْرِجُه المطابع من كتب
 وصُحُف ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطأ في ضبط الكلام .
 ومَرُّ الأيام كفيلٌ بإنشاء جيل جديد من الكتّاب
 والمؤلفين يَغْنَمُونَ بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجعين
 والمصححين . وهذا الجيل ناشئ حتماً متى شَبَّ على قراءة ما يقرأ
 مضبوطاً أتمَّ ضبط ، إذ يتعود سلامة النطق ، وتستقر في أذهانه
 صيغُ الكلمات والجمل مضبوطة مُعَرَّبة ، فيكتبها كما ألفتها
 عينه ، ويتلفظُ بها كما سمِعَها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرة
 النحو والصرف ، دون تخصص في تعلم النحو والصرف . شأنه في
 ذلك شأنُ الشاعر المطبوع حين يَنْظُمُ صحيحاً لا خَلَلَ فيه ، طَوْعاً
 لما أدْمَنَ من قراءة الشعر ، ولو لم يعرف من علم العروض شيئاً .

بَبَقِيَ أَنْ نَعْرِضَ لشيء لا نجد سبيلا إلى أن نضربَ
عنه عَصْفًا . ذلك هو أنْ لِمُسْكِلةِ ضبطِ الكتابةِ جانباً غيرَ
الجانبِ المطبعي الفنى الذى تَحْمِلُهُ هذه الطريقة .

إن المَطَالِبَةَ بِضبطِ الكتابةِ أمرٌ تعترضُهُ مصاعبٌ يَتَبَرَّمُ
بها لِكاتبون . فإننا إذا رَغِبْنَا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى
المطبعة مشكولا على وجه الدقة ، استشعرَ من ذلك عَنَتَةً آ ، ولاقى فى
سبيله رَهَقًا . أليس هو مُطَالِبًا بأن يَتَحَرَّى الصوابَ فى الضبط ؟
وهل يَتَسَنَّى لكل كاتب أن يُحْسِنَ ضَبْطَ ما يكتب ؟ أو ليس ذلك
يقتضى بَصْرًا باللغة ، وإتقانًا لقواعد النحو والصرف ، حتى لا يكون
الضبط سبيلًا إلى إشاعة الخطأ مِنْ حيثُ نبتغى إشاعة الصواب ؟
ولكن هذا الذى نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطأ إذا أُريدَ
الكَاتِبُونَ على ضبط ما يكتبون ، دليلُ أسَـطَعُ دليل على أننا مُتَعَوِّزُونَ
الـمـرَـاة على سلامة النطق وصحة الإعراب ، دليلُ أسَـطَعُ دليل
على حاجتنا المُقْصَوَى إلى تَعْمِيمِ الضَّبْطِ فى الكتابة .

على أن اِكْلَّ تَغْيِيرَ طَارِئٍ مِصَاعِبَهُ الأولى ، ولكل إصلاح

سابعاً :

أن اجتناب التركيب في الحروف سيجعل الكلمات مبسوطَةً ذاتَ أفقٍ أقلَّ انخفاضاً من الأفق الذي تقتضيه الكلماتُ المركبة الحروف ، فتزداد السطور في الصحيفة ازدياداً يعوضها بما يسلمزمه انيساطُ الحروف من اتساع الحيز .

ولقد رغبتُ إلى المطبعة في أن تستنَّ هذه الطريقةَ في صف جملةٍ من الكلام ، فلم تعنى بذلك ، وأثبتت التجربةُ أن الطريقةَ لا تعترضها في العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدت في إنجاز ذلك على مُصندوق الحروف الذي يجري به الاستعمال الآن . ولو أن هذه الطريقة لقيت حَسَّظاً من القبول ، ومُضَعَّتْ موضع التنفيذ ، لتوقعنا أن يزودها أهل الفن في مسابك الحروف بما يوحى به وَضْعُهَا الجديد ، وأن يزيدوها تجميلاً ، ويضيفُوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلها أدقَّ أداءً ، وآنفَ منظراً ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان .

أولاً ووسطاً وآخراً ، سيجعل تعليمها أيسر ممتونة ، لأننا لا نزوع المتعلمين بالحرف الواحد متعدد الصور ، مختلفاً في حالة أفرادها عنه في أحوال تركيبه . ولذلك أثره في تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهليين .

خامساً :

أن المصاعب التي تتجشَّـمها المطبعة الآن لا يبق لها محل . فإن صندوق الحروف سيتحرَّر من أكبر ما يُثـقـلُه ، فإذا أضفنا إليه علامات الشكل لم يضـق بها جميعاً ، وسيصبح ذلك الصندوق الذي يحوى الحروف وعلامات ضبطها جميعاً لا يزيد على خمسين عيناً ، على حين أن صندوق الحروف غير المشكولة في حالتها الراهنة المتعددة الصور يُرَبِّي على ثلاثمائة .

سادساً :

أن وقت العمال الذي كانوا يُنفـقـونه في اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليل منه في اجتلاب الشكل . وسيصبح صفهم لكلمة مشكولة يتطلب من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صف كلمة لا شكل فيها .

وعندى أن هذه الطريقة تتحققُ بها المزايا الآتية :

أولاً :

أنها تنفى شبهة القطع بين القديم والجديد ، فالحروف
هى الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هى القديمة المألوفة .

ثانياً :

أن الحروف ستكون واضحة لاخفاء بها . فهى غير مركبة
بل مبسطة ، يُعَرَّبُ فيها كلُّ حرف عن صورته فى تميز
واستقلال .

ثالثاً :

أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها
الأنظارُ باللمح ، فلا تترجَّح العلاماتُ بين الحروف المركبة
فى الكلمة الواحدة . إذ أن كلَّ حرفٍ رَحْبُ الصدر لما يقع
فوقه أو تحته من علامة الشكل ، وبذلك تأمن العلاماتُ من
الترجح ، وتَسْلَمُ من التعرُّض للخطأ والاضطراب .

رابعاً :

أن اتخاذ صورة واحدة للحروف فى جميع مواقعها من الكلمات ،

على ثلاثمائة ، وأن نتخذَ علامات الضبط المتعارفة التي يجري بها الاستعمال . وسيرحَّبُ بها الصندوق الذي تخفِّفَ مما كان يغصُّ به من الصُّوَرِ المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات في غير مشقة ولا عُسر . وطوعاً لهذا يتوافر للطباعة مُغنمٌ من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة مُغنمٌ من تعميم الضبط بلا عناء .

وأقترح أن تكونَ الصورةُ التي نقتصر عليها من صور الحروف ، هي الصورة التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهي التي يسميها أهلُ فنِّ الطباعة : حروفاً من الأول . على أن تُؤثَّرَ الكاف المبسوطة ، وتظل حروف الألف والdal والذال والراء والزاي والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقيةً على صورتها في حالة إفرادها .

وأكبر ظني أننا لو أخذنا بهذه الطريقة ، لحللتنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضاً ، ولا يتطلب تهية الأذهان للرِّضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأي العام بقبول شيء جديد .

وقد حدّانا هذا على أن نعرضَ طريقةَ تقوم على أساس
الكتابة العربية في أوضاعها الراهنة ، بَيْدَ أننا ننفي عنها ما كان
عائقاً عن إدخال علامات الضبط في الحروف المطبعية .

إن صندوق الحروف في المطبعة العربية يحمل لكل حرف
صوراً متعدّدة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول
الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف في بُنية
الكلمة المركب بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوق
الحروف من ناحية ، فتعدّر أن يحتمل معه صندوقاً آخر
لعلامات الضبط . وتركبت الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح
وضعُ علامات الضبط عليها غير دقيق . وهذا كله هو سر
استئصال علامات الضبط ، وإخفاؤها في أداء مهمتها ، وهو العقبة
في سبيل استعمالها في الكتب التي تخريجها المطابع .

وإنى أرى أن تقتصر من صُور الحروف على صورة
واحدة ، وبذلك يكونُ لصندوق الحروف المطبعية عيون
لا تتجاوز الثلاثين عيناً ، فننتخف من تلك العيون التي تزيد

نفسوس هذا رأى فى حكمة وأناة ، حتى يحين وقت تتهياً
النفسوس فيه لقبول الجديد .

فالإجراء الذى يمكن أن نكتمل له قبول الأمة العربية
فى جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير به
الحروف القائمة ، ولا تتذكر معه صورتها المألوفة .

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأى العام فى استبقاء القديم ،
فإن الناس جميعاً يرحبون بما نتخذ من وسيلة لنزول المصاعب
التي تعترض حل تلك المشكلة فى ميدان الطباعة .

الأُلْمَة بِها ، وطول العهد معها ، وجلال القِدم فيها . ولذلك لا يُحْسَبُ كل تنبير يلحق بها إلا استخفافا بشيء تحيط به هالة من المهابة والإكبار .

وإذن فهذا العامل النفسي المتأصل ، هو الذي يقف عقبة في سبيل ما ينادى به المنكرون وذوو الرأى ، من اتخاذ حروف جديدة مقتبسة أو مخزعة لكتابة العربية .

ولا خلاف على أن العوامل النفسية التي تستقر بين جوائح الأمم لا تسقط جملةً بقوة منطق ، وروعة دفاع ، ومُجْجَة إقناع . وإنها كذلك لا تسقط بظهور مضرّة ، واستبانة نفع . فإن للعوامل النفسية أسبابها وملايساتها ، فإذا زالت هذه الأسباب والملايسات رُويَداً زالت معها تلك العوامل رُويداً ، وليس كالزمان دواء لها وعلاجها .

هيهات أن يُنْضَرَّ اقتراح جديد للكتابة بقانون ، وهيهات أن يُلْزَمَ الناس به إلزاماً بإقناع ، وكلُّ محاولة مُتجافى المجرى الطبيعي لتطوّر نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق . فمن حقّ الأُمّة العربية علينا أن نساير في عهدها الحاضر رأيها العام ، وأن

ويعانى من صعوبتها ما يعانى به .

ثمّة عامل نفسى يسرى بين جوانح الأمة العربية ، مَنْ أغفله لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا فى نهضتنا الحديثة التى تقوم على أساس الحضارة الغربية الراهنة ، تتملكها نزعة المبالغة فى الحرص على مشخصّاتها القومية ، وهذه الجماهير — فى شديد حرصها ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخصّات ، فإن نبذتها كان ذلك إمعاناً فى التطرف وهدماً للبأثور ، وتفريطاً فى الجانب القومى العزيز .

وعلى الرغم من أننا كطالّعون فى نهضتنا إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة ، تضنّ ما وسعها الضنّ بالنزول عن شىء من شؤون حياتنا الاجتماعية وإن كان من الظواهر والقشور .

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هى من جوهر اللغة فى قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذت فى أوضاعها القائمة ، مسحة من التقديس ، لشدة

بيد أن هذا المنطق الذي نراه واضحاً كل الوضوح .
لا يصرفنا عن أن نسأل أنفسنا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العملي ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سعة ، وميدان
الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان .

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نصارح أنفسنا
في غير موارد ولا مراء .

لغتنا العربية في جوهرها ومظهرها ليست ملكاً لوطن
وحده ، ولا هي مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة
بين طائفة من الأوطان والدول . وجلّى غاية الجلاء أن هذه
الطائفة التي تضم بين جوانحها الأمة العربية كلها يجرى فيها
اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة والتشبيب
للعقول عنها ؛ وإن كان الرأي العام في الأمة العربية كلها
يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ،

التي نتواضع عليها . وسَتَقِلُّ وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف
كلما مضينا أشواطاً في طبع تلك الكتب والمراجع . ولكنَّ
قدراً من هذه الحاجة سيبقى قائماً وإن أَعَدْنَا طبعَ مئات من
المؤلفات ومئات .

ومن هذا يتبيَّن أن تواضُعَنَا على أية حروف لكتابة
اللغة العربية ، لا يقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا في ميدان
التأليف . فالصلة باقية ، وربما بَقِيَّتْ على نحوٍ أوثق مما هي
الآن . وغايةُ ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفةَ حروف العربية
القديمة ، فإذا عرفناها وَضَحَ لنا الطريق إلى مَنْهَلِ التراثِ
العربيِّ . نَعُوبُ منه ما وَسَّعَنَا أن نَعُوبَ ، لا يَصُدُّنا عنه شيء .

وأن يقرأ ما فيها من بيان ، ويفتتح بما حوت من علم وأدب ،
وذلك إذا أنفق القليل من الساعات في تعلم صور الحروف
العربية القديمة ، باذلاً في هذا السبيل أيسر جهد .

ولا ريب أن كل امرئ في مُكَنَّنَتِهِ تعلم الصور الخطية
لثمانية وعشرين حرفاً ، أيّة كانت ، في ساعات معدودات ، وبجهد
غير معسور .

ولو مُقَدَّرَ للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف
أجنبية ، أو اختراع حروف جديدة ، لوجب مع ذلك أن
نُلْزِمَ الناشئةَ تَعَلُّمَ تلك الصور القديمة للحروف العربية .
حتى إذا شبَّهوا وقد انقادت اللغة لألسنتهم ، ومروا على
ضبط نطقها ، وأحسنوا تصريف كلماتها ، وأمسنوا من اللحن
في إعرابها -- استطاعوا بمعرفتهم حروف العربية القديمة أن
يطالعوا ما شاءوا من تراث السلف ، ولا سيما المراجع
الكبيرة ، وأمّهات الكتب ، في فروع العلوم والفنون والآداب .
وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة ، حتى
يتسنى لنا أن نعيد طبع هذه المراجع وأمّهات الكتب بالحروف

وحاضرها . بل لعل حروفاً مقتبسة أو مختصرة تُكتب بها اللغة العربية تكون سبيلاً إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، ما دامت هذه الحروف المقتبسة أو المختصرة أدقّ ضبطاً ، وأدنى تناولاً . فإنها بهذا الضبط وقرب التناول تجعل المتعلمين أقدر على القراءة ملكة ، وأقوم لساناً ، وأفصح بياناً .

وعلة إثارة النقاد والمعترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد ، أنهم يخشونَ إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مختصرة أن تظلّ المؤلفات العربية التي توارثناها على توالى الأحقاب مُستَخلَقة مستَبرِمة لا يمسها قارئ . وبذلك تَفْقِدُ الأجيال اللاحقة ما خَلَفَتْهُ الأجيال السابقة من عُصارات القرائح والعقول .

ولكن الحق أن جيلاً جديداً إذا شَبَّ عربيّاً في منطقهِ ، بأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربيّ مضبوطاً أدقّ ضبط ، مُعَرِّباً أصحّ إعراب ، واكتسب بذلك مَلَكَةَ الإفصاح — فإن هذا الجيل الجديد لا يُعْجِزُه بعدئذ أن يرجع إلى المؤلفات التي كُتِبَتْ بالحروف العربية القديمة ،

وجملة ما نادى به المنادون من المُتتَرحات ، سواء ما كان منها مُشِيد باتخاذ الحروف اللاتينية ، وما يتخذ للكتابة حروفاً مخترعة ، وما يقتضى إدخال علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات — جملة ذلك كله لم يسلم من النقد والاعتراض . وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعتضون من مأخذ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد ، فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عجزوا عن أن يقرأوا ما تركه لنا الأولون من مُراثٍ ثقافيّ عريض ، وحِيلَ بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذى لا تزهد فيه الأمة العربية بحال .

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من عُلوّ فى القول ، وإمراف فى التصوّر . فإن أية حروف ، بل أية علامات وإشارات تُكتتب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولا تفصل بين ماضيها

وفي هذا المنحى متضمن من جهات مختلفة . فهو أولاً :
يزيد في الحيز المقسوم للكلمات ، وهذا تفويت لمزية الاقتصاد .
وثانياً : لا يحصى من خفاء الكلمة أول وهلة ، لافتراق
حروفها . وثالثاً : يقتضى نقطة ورعاية للفصل بين كل كلمة
وكلمة ، ولو وقع التهاون في هذا الفصل — وهو واقع لا أمان
منه — لاختلطت حروف الكلمات بعضها ببعض ، ولتعذر
على القارئ أن يميز كل كلمة في جملتها ، ويفرّق بينها وبين
الكلمة التي تتلوها .

لا يقبل تنفيذه العالمان ، ولا يرضى به الناشرون . ولا سيما
في عصر طابعه السرعة والتيسير ، طابعه اكتساب الزمن ،
واققتصاد الجهد ، والتهوين من النفقات .

(هـ) وثمة منحنى خامس ، وهو وضع علامات الضبط
بجانب الحروف ، منفصلة عنها ، كالشأن في الحروف اللاتينية ،
لا كما توضع العلامات الآن فوق الحروف أو تحتها .

وهذا الحل يقتضى أن تنمّي أوضاع الكتابة العربية
في تركيب الكلمات ، لكي يكون بعد كل حرف مُنفّسح تحلّ به
علامة الضبط ، وأن يُفصل بين حروف الكلمات بهذه
العلامات . وإذن تبدو صور الكلمات فيها تنكير ، وفيها بُسُو
عن المؤلف . يضاف إلى ذلك تفويت مزية الاقتصاد في حجم
الكلمة ، فإن الفصل بين حروفها بعلامات ضبطها يضعف
حجمها .

(و) وخاتمة المناحي الستة هو الاقتصار على الحروف
المنفصلة ، تسميلاً لوضع علامات الضبط عليها ، وتخفيفاً على
صندوق الحروف في المطبعة العربية .

فهذا المنحى يلتقى هو والمنحى الأول والثانى معاً فى ضرورة الاتفاق بادىء بدء على أن ننزل عن حروفنا العربية فيما أيسرنا من صورها ، وما عرفنا من علامات ضبطها .

(د) وأما المنحى الرابع فهو الإبقاء على الحروف العربية وعلامات ضبطها ، على أن تُصَبَّ علامة الضبط مع الحرف فى بُنية واحدة ، حتى لا تحيد عنه ، ولا تُفْلِت منه . فتبدو الحروف المطلوبة معها ضبطها متصلاً بها ، ليس بينهما من تقاطعات .

وهذا المنحى تقوم فى وجهه عقبتان ، كلمتهما كأداء ، أولاهما فنية ، والأخرى اقتصادية . فإن صندوق الحروف العربية فى أوضاعها القائمة كثير الصور ، يعينها به الصنفان ، إذ يبلغ أكثر من ثلاثمائة عين ، ولو أضيف إلى الصندوق صور جديدة من الحروف عليها علامات الضبط على اختلافها ، لازداد جهد القائمين بصف الكلمات أضعافاً مضاعفة ، ولاستنفد من أوقاتهم بضعة أمثال ما يستنفدون الآن . فهذا المنحى مدعاة لكثرة التكاليف ، مضية للوقت ، مجلبة للعنت . ولذلك

للحروف العربية أو اللاتينية جميعاً . فما على المخترعين من سبيل ، وإن المجال أمامهم لطلاق ، يتيح لهم حرية الإنشاء ، ولا يقيم حياً لهم عقبة مما هو قائم عتيد . ولكن الأخذ بحروف مخترعة لا عهد بها لأحد ، أمر يتطلب من رحابة الصدر ، وشجاعة النفس ، ومن الاستعداد لقبول الجديد الغريب أكثر مما يتطلب الأخذ بطريقة الحروف اللاتينية . لأن التَّبَنَّى للحروف المخترعة التي لم تثبت لها كفاية ، ولم تُعَرَف لها مَرَاتِنُهُ ، أشقَّ مَكْلَفَةً من اقتباس حروف متعارفة ، ثبتت كفايتها في الأداء ، وكُفِلَتْ مَرَاتِنُهُ في العمل .

(ج) وثالث المناحي الإبقاء على الحروف العربية القائمة ، مع اختراع علامات للضبط يلاحظ في اختراعها أن تكون ميسورة على المطابع ، واضحة للقارىء ، فتلحق هذه العلامات بتلك الحروف .

ولاريب أن حروفنا العربية إذا لحقت بها تلك العلامات ، أفقدتها صورتها المألوفة ، وأفاضت عليها مسحة من التنكير والغموض .

المحببة لنفسه ولأنفس أهله وأهل العربية . ولذلك لم يجد بداً من اختيار هذه الحروف اللاتينية التي شاعت في أكثر لغات العالم . فهي وسيلة تقريب بين الأمم ، وهي مع ذلك قد مورست في الطباعة ، واكتسبت مَرَانَةً في الاستخدام ، وأثبتت قدرتها ويسرها في ضبط كتابة اللغات الأجنبية . وقد اتخذها معاليه أساساً لطريقته ، ولكنه أدخل عليها من ضروب التعديل ما يناسب ضبط الكلام العربي على أدق وجه ، بحيث تجعل كل حرف في الكلمة يدل بذاته على صورته الصورية دلالة صادقة لا لبس فيها ولا انهام .

(ب) والمنحى الثاني : هو اختراع حروف جديدة تمثل محال حروفنا العربية ، ذات علامات للضبط ملائمة لها . وقد تكاثر اللوردون على هذا المنحى من الحلول ، وتراجعت مراميه للفنانين ، يبتكرون ما يُوحى إليهم التصور والتفكير ، ويقترّبون أو يبتعدون عن صور الحروف العربية القائمة ، وربما كان في ألوان هذه الحروف المخترة ما يتوافر له الجمال والاختصار ، والمهولة واليسر ، وسائر المزايا التي لا تتوافر

فكيف السبيل إلى حلّ هذه المشكلة ؟

لقد تناولها بالبحث كثير من ذوى الرأى ، وأعلنوا ما بدا لهم من مقترحات وحلول . وإنى لأحسبها ترجع إلى
مَنَاحِ ستة :

(أ) المنحى الأول : هو اتخاذ الحروف اللاتينية ، وقد
آثرتُ أن أبدأ به تحيةً لأستاذنا صاحب المعالى « عبد العزيز
فهمى باشا » متَّعَهُ الله بالعافية . نادى بهذا الحلّ فى بيان
لأَعْدَهُ إلا وثيقة تاريخية من أنفس وثائقنا التى تعالجُ مشكلاتنا
الثقافية . وقد تكفل معاليه ، فيما أفاض فيه من بيان ، بتجلية
ما يردُّ على هذا الحلّ من مختلف الاعتراضات ، وعَقَّبَ عليها
ما شاء أن يعقِّب بالردِّ والتنفيذ . فلم يدعْ فى هذا المنحى
زيادة لمستزيد . وُجِّمَل ما رأى معاليه أنه لجأ إلى المناداة باتخاذ
الحروف اللاتينية بعد أن بحث عن طريقة لتيسير الكتابة العربية
مع استبقاء حروفها الحالية ، فلم يَظْفَرْ بتحقيق هذه الأمنية

فى تجارب الطبع عسير جدٌ عسير ، وأن الخطأ فيه على فرط
العناية به كثير جدٌ كثير . ولذلك لا ترضى بإجراء الشكل
فى الكتب إلا بعضُ المطابع الخاصة . وإنما لتتقيد لهذا
الإجراء أكبرَ الوزن ، وتحتسبُ له أكبرَ الحساب ، طوعاً
لما يتطلب إدخالُ هذا الشكل من جهدٍ وعنتٍ فى صفِّ
الكلام طوراً ، وفى تصحيحه طوراً .

فما علة إمساكنا عن إشاعة الضبط ؟

وماذا يُجنِّجهم بالمطابع عن إدخال الشكل باعتباره عنصراً
أصيلاً في الكلام ؟

لعل أكبر البواعث في ذلك أن المطبعة العربية بدأت كما بدأت
الكتابة العربية نفسها ذات حروف غير مشكولة ، فأصبحت
على هذا الوضع مألوفة جارية . فلما أريدت المطبعة على إدخال
الشكل ضاقت به ذرعا ، ووجدته ضيفاً عليها ثقيلاً ، ولم تر فيه
إلا واهلاً دخيلاً . فقد أخذت الكلمات في كتابتها أوضاعاً
من التركيب لا تحتتمل وقوع هذه الشكولات عليها .

وعلى الرغم مما بذله أهل فن الطباعة من محاولات في معالجة
الموضوع ، وما بلغوه من إخضاع حروف الكلمات لمواقع
الشكل ، فإن الضبط في الحرف المطبوع مازال يُثقل الكلمات
من كل جانب ، ويجعل البصر يزيع في تصييد ما فوقها
وما تحته من حركات . وذلك إلى جانب أن تصحيح هذا الشكل

لا ريب أننا أسعدُ حظاً من العرب في العهود الغابرة ،
فما كانت لديهم هذه الوسائل التي تسنّت لنا الآن ، من مطبعةٍ
تُخرج الكتب والصحف على اختلافها في سهولة ويسر ،
ومن مزياع ينقل إلى الآذان ما تُلَفِّظه الأفواه في دقة
ووضوح . فأين من هذه الوسائل الناجعة ما كان للعرب الأقدمين
من وسائل محدودة وعذرة ، كجئوا إليها لإشاعة الضبط .
والتعريف بالصواب ؟

ولكن وسائلنا على يسرها ، وقرة أثرها ، لم تُحسن
استخدامها ، فلم تُفدنا شيئاً . وذلك لأننا لم نلتزم ضبط الكلام
فيما نؤلف من كتب ، وما نُصدر من صحف ، وما نُلَفِّظُ
من قولٍ في المذيع .

سلائق سليمة .

وأكد أقول بأن هذه البيئة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع ، لو شاع فيها الضبط ، لأصبحت أقوى أثراً من تلك البيئة البدوية التي كان الخلفاء والأمراء يبعثون إليها بأبنائهم في فجر الإسلام ومضجها ، لاكتساب العِصْمة من اللحن في الإعراب ، والسلامة من الخطأ في تصريف الكلام .

فلنتمثل في خاطرنا أن الضبط قد شاع بين أهل العربية في سائر ما تقع عليه الأعين ، وما تلتقطه الأذان : الطالب في مدرسته من أول مرحلة في حياته الدراسية إلى أن يتخرج في جامعتة ، في مختلف مواد دراسته . والقارئ عامة فيما بين يديه من الصحف والمجلات والكتب والنشرات ، والأسرة كلها بمسّمع من المذياع — فلنتمثل في خاطرنا أن هؤلاء جميعاً لا يقرءون ما يكتب لهم إلا مضبوطاً أدق ضبط ، ولا يسمعون ما يلقى عليهم إلا معرباً أصح إعراب ، ألا يكون ذلك سبيلاً إلى طبع الألسنة على صحة النطق ، وإكسابها مَلَكة الإعراب ؟

بالفصحى ، أو الحرصاء على النطق بها ، إلى المناداة بترك الإعراب ، واللجوء إلى الوقف . على أن الأخذ بهذه الدعوة لا يرفع جملة ما هنالك من مصاعب ، فمن وراء الإعراب ضبط بنائية الكلمة ، في أوائلها وأواسطها ، مما تقتضيه قواعد الصرف ، وسماع اللغة . فإذا نُودِيَ بأن ننفذ عن اللغة إعرابها وصرفها وضوابط كلماتها جميعاً ، فلا تسمية لذلك إلا أنه « انحلال لغوى » ، إذ هو يُنفذُ اللغة مقوماتٍ من جوهرها الأصيل .

حقاً لقد شاعت في البلاد العربية بيئة ثقافية لها لتتها الفصحى ، وحقاً أن هذه البيئة لها منبعان فياضان من المقروء والمسموع . ولكن هذين المنبعين لم يُغْنِيا أهل العربية شيئاً في صحة القراءة . فإن المقروء عارٍ عن الضبط ، والمطالعون يمتصون في قراءتهم على غير هُدًى ، وأما المسموع فاللحن فيه شائع ، والخطأ كثير ، وربما كان ضرره أكبر من نفعه .

ولو كانت هذه البيئة الثقافية بمنبعيها الفياضين كافلة للقارئ والسامع ضبطاً صحيحاً للألفاظ والصيغ ، لأدت لأهل العربية نفعاً عمياً ، ولكانت بذرة مُخصبة لإثمار

ولا غرُوة في أن يَعجزَ العامةُ عن القراءة الصحيحة ،
 وأن يجدَ الخاصةُ فيها صعوبة وحرجاً ، فقد ذهبتُ عن العرب
 سلاقتها النصيحة منذ عهود وآماد ، وأصبحتُ اللغة تؤخذ تلقيناً ،
 وتكتسب تمريناً . إذ استقرتُ لنا لهجة عامية يجرى بها على
 ألسنتنا مألوفُ الكلام ، وهذه اللجةُ تجانبُ لغة الكتابة
 الفصحى في خصائصها الواضحة ، أعني الإعراب وما إليه
 مما يقتضيه الاشتقاق وتصريفُ الألفاظ والصيغ . فأصبحنا
 إذا أردنا أن ننطِيقَ بما نكتب ، عازيناً أن نعرِّبه وأن نقومَ
 بتصريفه معاناةً لا تخلو من تكلف ، ولا تسلم من تعثر .
 ولذلك نجد المدرِّسَ في مدرسته ، والمُحاضرَ على منصَّته ،
 والمتحدِّثَ أمام المذيع ، يستنجدون مُضطربِّين بالوقف ،
 ويمتضخون بعضَ الصَّيغِ فراراً من كلفةِ الإعراب ، واتِّقاءً
 للخطأ في تصريف الألفاظ .

وقد أدَّتْ هذه المصاعبُ التي يضيقُ بها الناطقون

فهم بها أبصر ، وهى عليهم أيسر ، وسلاقتهم فيها أدعى إلى الاستغناء عن الضبط إن أرادوا أن يستغنوا عنه . ولكنهم يلتزمون الضبط فيما يكتبونه ، لا يعولون على علمهم باللغة ، ومَرَّانَتهم على القواعد ، وانسياق السنتهم إلى الصواب .

فأول ما يجب أن تؤمن به ، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة ، كتابة ناقصة ، وأنا نعبر بها عن غرور نفسى ، وأن هذا الغرور يُخفى بين ثناياه عجزَ الغالب منا عن القراءة الصحيحة ، وفثقا لقواعد اللغة وأوضاعها . فنحن بهذه الكتابة نرضى غرورنا ، وإن كنا فى حقيقة أمرنا نخطئ فيما نقرأ غير مبالين .

المطبعة إلا في أحوال قليلة ، وضرورات خاصة .

وكان في مقدمة هذه الضررات والأحوال بعض الكتب المدرسية الخاصة بمواد اللغة العربية ، مثل كتب النحو والمطالعة ، فطُبِعَتْ مشكولة لاستعمالها في المدارس . ولكن كان لذلك أثر سيئ ، فقد أشاع بين المثقفين شعوراً نفسياً نحو هذا الشكل ، شعوراً استعلاء عليه ، وأنفة منه . إذ تَوَهَّمُ الكبار أن الضبط لا يكون إلا للصغار ، وأنه للتلامذة دون الأساتذة . وأن الكتب المدرسية هي وحدها التي تظهر مشكولة ، وعارٌ أن تُضَبَّطَ الكتب التي توضع بين أيدي المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم ، فمن قَدَّمَ لمثقف كتاباً مضبوطاً فقد أساء الظنَّ به ، وعزَّزَ إليه تهمّةَ الجَهْلِ بأوضاع اللغة ، وقواعد النحو والصرف . وجبَّ لي أن هذا الشعور النفسي نحو الشكل شعور وهمي لا أساس له . ولا حق فيه . فهو لون من ألوان الغرور يتواضع عليه الناس . وأولئك هم الناطقون باللغات الأجنبية من فَرَنَسِيَّة وإِنْجِلِيزِيَّة وِطْلِيَانِيَّة وغيرها . لا يكتبون كلامهم إلا مضبوطاً أتمَّ ضبط ، ولغاتهم على وجه عام لغاتُ كلام وكتابةٍ معاً ،

فأما نحن فإننا في مُسْتَهْمَلٍ نهضتنا الحديثة ، حين بدأنا
نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين ، اكتفينا بالحروف العربية عاريةً
عن علامات الضبط للكلام .

فهل مبعث ذلك أننا عدّنا أنفسنا عرباً أقوى سلائق
من العرب الخلفاء في العصر الأندلسي ، وأقدر منهم على
ما يكتب بالحروف العربية غير مضبوطة ؟

كلا ، فإنه لا خلاف على أن قراءة الكلام غير المضبوط
قراءةً صحيحةً ، أمرٌ يتعذر على المثقفين عامة . بل إن المختصين
في اللغة ، الواقفين حياتهم على دراستها ، لا يستطيعون ذلك
إلا باطِّرادٍ اليقظة ، ومتابعة الملاحظة ، وإن أحداً منهم إذا
حَرَصَ على ألا يخطئ ، لا يتسنى له ذلك إلا بمزيد من التأنى ،
وإرهاق الذاكرة ، وإجهاد الأعصاب .

لم يكن مبعثُ اقتصارنا في الطباعة على الحروف العربية
دون ضبط أننا وجدنا فيها مُغْنِيَةً وكفايةً ، وإنما كان مبعثه
أن أوضاع الكتابة العربية يَصْعُبُ معها إدخالُ علامات في
المطابع ، فلم يَتَّحْ لهذه العلامات أن تأخذ مكانها على الحروف

ما كاد يبدأ عهد التدوين العربى في عصر الدولة الأموية ،
حتى تبين أن هذه الحروف العربية وحدها ليست مُغنيةً
في ضبط الكلام . ولذلك أخذ الأمويون في ابتكار علامات للضبط
توضع على الحرف ، نفيّاً للخطأ ، ورفعاً للبدس . هذا والامة
العربية في جملتها يومئذٍ مستقيمةُ الألسن ، صافية السلائق ،
فصيحة اللهجات .

ولقد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط ، أنهم لم يكونوا
يقتصرون على وضع العلامات المقررة ، بل لقد كانوا يلجئون إلى
التعبير في المواضع المهمة للكلمات التي يخشون عليها الالتباس .
فيكتبون مثلاً أن الكلمة بفتح الحرف الأول وسكون الثانى
وضم الثالث وكسر الرابع . وما بعثهم على ذلك إلا خوفُ
التصحيف والتحريف ، بل لعلهم خشوا أن تذهب علامات
الضبط ، أو أن يستثقل الدُّسَّاخ نقلها بالتعبير . وليس أبلغَ
من هذا دليلاً على رفاهة شعورهم بنقص الحروف العربية وحدها
في الأداء ، وبقيام الحاجة إلى ضبط الكلمات ضبطاً لا لبس فيه .

ضبط الكتابة العربية

ما هو غريب غير مألوف .

ولكن مهمة المجمع تقتضيه ألا يبالى هذه الصيحات اللاهية التي تتبع كل إصلاح ، وتلاحق كل تجديد . وحسب المجمع حادياً له على المضى في سبيله أنه يستجيب لتلك الروح التي تسفر عنها نزعات الجمهور المثقف إلى إثارة الكلمات الفصيحة ، وإمداده بما يحتاج إليه في مجال التعبير ، تنقية للغة من شوائب العجمة والابتذال ، وتطويراً لها في سبيل الترجمة عن مظاهر الحضارة ومطالب الحياة .

فليمض المجمع في دراسة ما يراه حقيقاً بالاستعمال من ألفاظ وأسماء في مناحي الشؤون العامة ، وليمدد بجهده الجماعي المؤزر أشتات الجهود الفردية التي يقوم بها الكتاب فيما يعرض لهم من ضرورات التعبير .

ولا خلاف على أن الرأي العام المثقف هو الحكم الأول والأخير في شأن هذه الألفاظ والأسماء . فما يرتضيه منها يكتب له الشيوخ والبقاء ، وما لا يستسيغه منها يسحب عليه ذيل العفاء .

ولكننا لا نكتبها إذا كتبناها إلا كرهاً . لقد ضاق بها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، رضوان الله عليه ، وذلك على الرغم من انتصاره للعامة ، واستخدامه لجملة من تعبيراتها في كياسة وتلفظ . فكان إذا أراد التعبير عن « البيجاما » في معرض بيانه ، استعمل كلمة « المنامة » ، ولقيت الكلمة نصيباً من القبول بين القراء ، فتناقها الكتاب .

ما أكثر أمثال هذا اللفظ الأجنبي أو العamy في لغة الناس ، وما أشد ما يعانيه الكاتب من مضاضة وتردد إزاء ذلك الركam الذي يزداد على الأيام ! .

لقد زاول جمعنا اللغوى هذه الناحية ، وعالج في مطلع جهوده أن يشق هذا الطريق ، وأن يقدم أسماء عربية لمسميات تتعلق بالشئون العامة ، فلم يكن إلا قليلاً غناؤها . على أن بعضاً من هذه الأسماء كتبت له الحياة ، ولكن في أفواه الساخرين ، وعلى أقلام المستهزئين . إذ وهم الناس أن المجمع الرسمى يريد أن ينتزع من الجماهير العامة لغتها الجارية على الألسن ، وأن يفرض عليها لغة جديدة ليس لها بها عهد . فثارت أسنة الجماهير لما تألف ، وأبت

إن الكثرة الغالبة من ألتاظ الشؤون العامة ما برحت أجنبية أو عامية . ومصدق ذلك أن نطوف بنظرنا فى حجرة استقبال ، أو فى أنحاء مطهى ، أو فى غير ذلك مما يتجلى على مسرح الأعين ، فسيستبين لنا أن الكاتب إذا تشهى وصف ما يرى ، لم يستطع أن يقع على تسميات عربية دقيقة ، فإن راج له الاسم العربى الدقيق منعه من استعماله أنه نافر مهجور .

ولكن الكاتب على أية حال مضطر أن يصف ما فى البيت وما فى السوق . وأن يتناول ما يدور من أسباب العيش ، وما يستعمله الناس من الأدوات ، وما يتداولونه فى حياتهم اليومية من شؤون . ولذلك يذل الكاتب جهده ، ويعالج أمره ، فيتجمل ويتوسل ، ويتصاعب ويتساهل ، حيناً يصطنع الكلمة الفصيحة على حذر ، وآنا يقبل من الكلمات العامية ما ليس منه بد ، وساعة يتخذ له اصطلاحاً جديداً يرشحه للاستعمال . وهو فى قرارة نفسه مضطرب حيران ، يحاذر ألا يدرك مأربه من الإلبانة ، ويخشى أن يندقص حظه من الإفصاح . وفى هذه المناسبة تحضرنى كلمة « البيجاما » اسماً لذلك الطراز المعروف من ثياب المنزل ، فهذه الكلمة يسوغ لفظها على ألسنة الخلق ،

شائعاً من الأسماء استشعر الضيق والخرج ، وتعذر على قلبه أن يجرى الكلمات العامية أو الدخيلة في تضاعيف بيانه ، حتى لا تكون أشبه شيء بالنغمة الناشزة في اللحن المتساوق . فإلّا كتاب هم أكثر الناس طموحاً إلى أن يواتيهم الفصحى بما تعرض له حاجاتهم في مواقف الكتابة والتعبير . ولعلمهم يضطرون إلى التعميم في مواقف التخصيص ، وإلى مجانبة التمييز والتعيين ، حين تستبد بهم الحيرة بين إجراء القلم بلفظ عامى أو أجنبي . واتخاذ لفظ فصيح ليس بمألوف أو ليس بمستساغ .

روى لى الراوى عن الأديب البليغ الشيخ « عبد العزيز البشرى » — رحمة الله عليه — أنه زار « بنك مصر » . فكتب متأقاً يصف المبني وما إليه ، واجتهد أن يعبر عن أرائه وأجزائه بالفاظ من فصيح العربية ، ولم يأذن لكلمة عامية أو دخيلة أن تشوب مقاله ، إلا كلمة « بنك » التى أفلتت منه فى عنوان المقال . فلما زار مصانع النزل والنسج رغب إليه عشاق أدبه فى أن يكتب فى صفة هذه المصانع ، فوعد ولم ينجز ، وتمنى أن يستجيب ، ولكنه لم يفعل ، خشية ألا تواتيه الكلمات الفصيحة بوصف الآلات والعدد ! .

الإفصاح بين ذلك الجمهور الخاص من طوائف المثقفين في شتى العلوم والفنون والصناعات ، فما أحسبني مفتقراً إلى الإشارة إليه . وأولئك هم المؤلفون والباحثون لا يألون جهداً في ترجمة المصطلحات العلمية والفنية ، ملتجئين العون بكل سبيل ، إرادة السلامة من العجمة ، والخلوص من الابتذال ، والتعبير عن مواضع العلوم والفنون تعبيراً عربياً لا شائبة فيه .

(٣)

وأهل صناعة الكتابة هم الذين يحملون القسط الأوفر من أعباء التخالف بين لغة الجمهور العام ولغة الجمهور الخاص ، ومن أثقال التنازع بين الأصيل والدخيل من الكلام . فالعالم والباحث في منحنى علمه وبحته لا يجد من الحرج في استعمال الكلمات الدارجة أو الأجنبية قدر ما يجد الكاتب في آفاق موضوعاته . فالكتابة هي فن الأدب ، والأدب هو أرفع مقامات التعبير في اللغة ، وهو المعرض الجميل لنقاء الألفاظ وجودة الأسلوب ، والكاتب هو الخليق بأن يحرص على الترف ، والسمو فيما يعبر به عن الخواج والأفكار ، وما يصف به المشاهد والأحداث ، فإذا عرضت له المسميات التي لا يجد لها فصيحا

في شارع واحد من شوارع « القاهرة » يتخذ أحدهما لنفسه اسم « فندق » ، وأما الآخر فيتخذ لنفسه اسم « لوكاندة » ، وأطرف من هذا أن إحدى الصيدليات في حي من أحياء « القاهرة » اتخذت على جبينها لوحين كبيرين كتب على أحدهما : « أجزاخانة » وكتب على الآخر « صيدلية » . وليس فوق هذا دلالة على فورة التنازع بين إجراء اللفظ الدخيل الشائع ، واستخدام الفصحح وإن كان لم يبلغ من الشيوع ما بلغ الدخيل .

ومنذ قليل نشرت إحدى صحفنا إعلانا لبيع نوع من أشجار الكمثرى محصن ضد « الأسكارس » ولم يرض المعلن أن يذكر هذا اللفظ الأجني في إعلانه ، فاختر له كلمة « الدودة الثعبانية » ... ولست أدري أدله عليها دال من الباحثين المشتغلين بترجمة المصطلحات العلمية ، أم كان ذلك منه محض اجتهاد ؟ ولكنه على أية حال مظهر من الرغبة العامة في أن تحل الكلمات العربية الصريحة محل الكلمات الأجنبية .

وقد طاب لي أن أبسط هذه الأمثلة ، لأنها شاملة تتصل بالجمهور العام في حياته اليومية . فأما دليل الوعي اللغوي والنزوع إلى

الشؤون ، فاخترت « آلة التنبيه » اصطلاحاً جديداً ، وللكلاسون .
وأذكر في هذه المناسبة أن إدارة من إدارات التشريع أسندت
إليها صياغة بعض المواد الخاصة بأحكام الطيران ، صادفتها كلمة
« الطاقم » للدلالة على مجموع الذين يضطلعون بالعمل في الطائرة ،
فلم تقع الكلمة موقع الارتياح من رجال القانون الذين يقومون
بمهمة الصياغة ، فاستصروا بعض رجال الجمع اللغوي ليسعفوهم
بكلمة عربية تقوم مقام تلك الكلمة الدخيلة ، فظفروا منهم بكلمة
ارتضوها وأحلوها من القانون محلها ، وهي كلمة « الزُّمَّة » .

ونظرة في الصحف ترينا بواد ذلك الوعي اللغوي ، ومخايل
ذلك التطلع إلى التزام الفصاحة ، فيبينا نقرأ في صحيفة من صحفنا
اليومية هذا العنوان القديم : « بورصة العقود » إذا بنا نجد صحيفة
أخرى قد عافت أن تستعمل كلمة « البورصة » وأبت إلا أن تستعمل
كلمة « سوق » . وربما وردت الكلمتان في صحيفة واحدة ، بل لقد
وردتا يوماً في صفحة واحدة !... وذلك برهان الصراع الفكري
بين التغاضي عن الدخيل وإيثار الفصيح عليه .

وبما شهدته من أمثلة ذلك التقاتل والنزاع أن فندقين متقاربين

فلا تملك أن تبين عما تجيش به الحياة العقلية والاجتماعية على مدار الزمن من أفكار وأحداث .

على أن ذلك الجمهور المثقف الخاص يتجلى في هذه الفترة من حياة مجتمعاتنا الحاضر ، معترزا بالعربية ، جانحا إلى الإفصاح ، عازفا عن العامى والدخيل فيما يتناقل من ألفاظ المعانى وأسماء الأشياء . وبين ظهرانيها مثل كثيرة واضحة الدلالة على أن هنالك وعياً لغوياً يجري تياره بين المثقفين جميعاً ، ويبدو أثره فى المرافقة الاجتماعية على وجه عام .

وحسبى أن أشير إلى ما يقرؤه الناس فى الطرقات من هذا التحذير فى شأن سىافة السيارات : « لا تستعمل آلة التنبيه » . فالهيئة التى أرادت أن تشيع هذا التحذير لم يرقها أن تستعمل الكلمة الأجنبية المعروفة ، وهى « الكلاكسون » .

وكأنما تلافت هذه الهيئة أن تصدم الأعين بكلمة دخيلة . ورائت أن تستبدل بها كلمتين عربيتين تؤدىان المعنى ، ولعل هذه الهيئة لم تقبل كلمة « النفير » لئلا تنصرف الأذهان إلى تلك الآلة القديمة التى تبعث الصوت ، وما تزال مستعملة إلى اليوم فى بعض

وفئاته ضروب العلوم والفنون والآداب ، والذي تعلم الفصحى ،
وأشرب ذوقها ، وأصبح قميناً أن تكون له ملكة الانتخاب
والاختيار فيما يأخذ وما يدع من الألفاظ والعبارات .

هذا الجمهور الخاص المثقف ، الضارب في كل علم وفن ، هو
مرآة اللغة المجلوة ، وهو قوامها الركين ، في شرايينه يجرى دمها
الحى . وبه تتفاوت درجاتها من النماء والازدهار . فلو أغفلنا لغة
الجمهور المثقف ، ووقفنا حيالها موقف التزمّت والحفظ ، لما رددنا
تيارها الدافق . ولما أفدنا من شيء . فلهذه اللغة الغلبة والتسلط ،
ولها الأمر آخر الأمر . نخير لنا أن نقف منها موقف عون وملاينة
وتوجيه ، حتى ننفي عنها في رفق ظواهر الجموح والانحراف ،
ونردها جهد المستطاع إلى ما ينشد لها من فصاحة ونقاء .

والويل كل الويل للغة إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهاءها ،
أولئك الدارسين لها في أصولها الأولى ، وأوضاعها الأصلية .
لا يبيحون لها سيراً مع الزمن ، وانطلاقاً في ركب التطور . وتجددوا
مع الأيام . يحسبون بذلك أنهم يصونونها من الفساد ، ويحفظونها
من الضعف ، وليس فساد اللغة ولا ضعفها إلا أن تتحجر في مكانها ،

الجمود الذى يحافى طبع الحياة ، وليكن باب القياس مفتوحاً على مصراعيه ، حتى لا يمنع مانع من استبطان أقيسة جديدة فوق ما ورثنا من أقيسة صاغها الأقدمون .

(٢)

يبد أن مجتمعنا — مجتمع الناطقين باللغة العربية — فريقان : جمهور أسمى عام ، يستقل بلغته العامية التى تتسع الهوة بينها وبين فصيح الكلام ، وجمهور مثقف خاص ، وهو مستمع — أو على الأصح : مرزوء — بلغتين اثنتين تتنازعانه فيما يلفظ من قول وما يرسل من تعبير ، أعنى الفصحى والعامية ، أو لغة الكتابة والخطابة ، ولغة المشافهة والخطاب .

فإذا نحن أردنا لحجة الإجماع والسماع أن تظل قائمة ، لتوثيق الجديد من الألفاظ ، ولباب القياس أن يظل مفتوحاً لاستقبال الجديد من الصيغ ، فلسنا بمستطيعين أن نعول فى ذلك على جمهورنا الأسمى العام ، خشية أن تنوب الفصحى فى محيط اللهجات العامية التى لا ضابط لها ولا نظام . ولكننا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص ، ذلك الجمهور الذى تستوعب طوائفه

مقروء أو مسموع أن يكون اللفظ في حساب اللغوى المتفق عليه خطأ أو غير خطأ ، فحسبه من اللفظ أنه اضطلع بمهمته التي تخلق من أجلها الألفاظ مهمة إبلاغ المعاني إلى الأذهان ، وتأدية الأفكار بين الناس .
ربما كان لرجال الدين أن يقصروا حجة الإجماع في الأحكام الشرعية على زمن بخصوصه ، وعصر بعينه ، ولكن رجال اللغة يجب أن يجعلوا حجة الإجماع في الألفاظ والعبارات شاملة لكل عصر قائمة في كل زمان . فلسنا ندين للغة بتقديس سماوى نستوحي منه الرهبة من الكفر والاروق . وإنما اللغة من خلق أنفسنا ، ومن صنع ألسنتنا ، وهى جانب من حياتنا ، يتجدد بنا ، ويتطور معنا ، ويسايرنا فيما نعالج من ضرورات وملابسات .

لا تفرض اللغة على الناس فى تحكم ، ولا يراودون عليها بالزام . ولكن تتبع ألفاظ اللغة من حاجات العصر ، ومن واقع الشؤون الاجتماعية فى حياة الناس ، فإذا بلغت الألفاظ عندهم مبلغ العرف الدارج ، والرأى المزكى ، كانت هى قانون اللغة ، عليها تبنى الأصول ، ومنها تتخذ القواعد ، وبها تقوم الأحكام .

فلنؤمن بأن السماع حجة للغة قائمة ، حتى لا نقف باللغة موقف

إلا ما تزخر به اللغة المسوّدة من ألفاظ وأوضاع .

لنتدبر المثل القائل :

« خطأ مشهور ، خير من صواب مهجور » .

ما أصدق انطباقه على اللغة ، لولا أنه يسمى المشهور خطأ ،
ويسمى المهجور صواباً ، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز
والتسمح ، فليت شعري : أى خطأ فى لفظ شهر ؟ وليت شعري :
أى صواب فى لفظ هجر ؟ إن الكاتب بقلبه والناطق بلسانه كلاهما
ينقل ما يحول بفكره إلى فكر غيره ، فإن أداه إليه بلفظ يفهمه
فقد نهض بمهمته مصيباً كل الصواب ، وإن صاغ فكره فى كلمة
لا يجوز معناها إلى الأفكار فذلك هو الخطأ الذى لا شبهة فيه لصواب .
سواء على القارئ أو السامع أن تروعه بلفظ عربى نافر
لا يجد له فى نفسه مدلوله الذى تبغيه منه ، وأن تفجأ بلفظ
أجنبى مغلق ليس بعربى الأصل ، فاللفظان معاً عند ذلك القارئ
أو السامع حروف مصفوفة أو أصوات متوالية لا يمتاز بها معنى ،
ولا تنزل من الأفهام منزلة الإفهام .

وسواء على القارئ أو السامع إذا فهم المعنى المقصود من لفظ

مقامه ، وحل غيره محله ، وربما طال عليه الأمد وهو سائغ مستعذب عليه رونق الحياة ، وربما قضت عليه الأقدار بأن يصير إلى إغفال وإهمال . كذلك شأن اللغات في ألفاظها وعباراتها منذ كانت ، تنازع موصول بين النباهة والجنول ، وتسابق دائر بين النماء والنفاء .

الناس يتخذون ألفاظهم رعيّاً للملابسات العيش ، وسداً لمقتضيات التعبير . واستيفاء لما يجدون في أنفسهم من ألوان المشاعر ، وهيئات للفظ أن يأخذ حظه من السيرورة على الألسن إلا إذا صادف هوى في النفوس ، ولأهمته استجابة عامة بين الناس في مقامات الكلام . فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته ، وأفوّم دليل على صدق الحاجة إليه . بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة ، خلية بالتقدير والاعتبار .

لا ريب في أنه إذا كان لقوم عرف وعادة ، فذلك العرف والعادة جزء من قانونهم الطبيعي ونظامهم العام ، وإن خلا منه القانون المسطور . والقوانين الصحيحة في كل أمة هي القوانين التي تقتبس روحها من عرف الأمة السائد ، وتستمد كيائها من عاداتها المحكمة . . . وكذلك شأن القانون الصحيح للغة ، لا مصدر له

العهد السحيق ، لشقيت بنا اللغة شقوة الأبد ، فإن في ذلك حكمة عليها بالضيق الذي ينتهي بها إلى اختناق ، والجود الذي يسلمها إلى موت محتوم .

اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة ، وقانون من قوانين المجتمع . وظواهر الحياة تتبدل وتتشكل طوعاً لتصاريف الزمن ، وقوانين المجتمع تتجدد وتتطور وفقاً لما تقضى به ضرورات الاجتماع . وليست أقيسة اللغة إلا استنباطاً مما يجرى فيها من أنماط وصيغ ، فاللغة هي الأصل ، والقياس منها يتفرع ، فهو ظلها الناشئ عنها ، يمتد إذا امتدت ، ويميل معها حيث تميل . والصواب في اللغة مناطه الشيوخ ، فمضى ساغت الكلمة في الأفواه فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بها ، وأصبح لها في الحياة حق معلوم .

إن الوضع الطبيعي في كل لغة أن ينشأ اللفظ الموفق مؤدياً غرضاً من أغراض التعبير ، فيصقله الاستعمال حتى يبلغ منزلة الألفة ، وعلى مر الأيام يتسع مدلوله في الأفهام أو يتقلص ، ويتوهج في مجال التعبير أو يعلوه الصدا ، وربما انتقل إلى مقام غير

لا يزال مجتمعنا الحاضر — مجتمع الناطقين باللغة العربية — يعانى من مشكلة اللغة خلافا على بعض الأصول والآساس .

وأكبر ما يعانى به المجتمع من ذلك الخلاف ما يتعلق بالقياس والسماع . منا من يقف بالقياس عند الحدود التى رسمها أئمة اللغة وفقهاؤها فى العصور الأولى كما يقف بالسماع عند ذلك العهد الغابر الذى أخذ فيه العرب الحلمص يحتلطون بغيرهم من الأمم ، فسرى اللحن على الألسن ، وتدنست العجمة إلى الفصحى . وإذن فلا قياس إلا ما قاسه من قبل أولئك الأئمة والفقهاء ، ولا سماع إلا ما أثر عن العرب قبل أن تفقد سلايقهم ما لها من خلوص وصفاء .

ذلك هو محور النزاع الذى تترد إليه ألوان المجادلات والمساجلات الدائرة بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات .

ولو أردنا لهذا رأى أن يسود ، وتركنا لمعقباته أن تكون ، فجرنا من القياس ما حجر الأولون ، وحصرنا السماع عند ذلك



بململ من التأمل أن العامية خلال عشرات السنين الماضية تدانت
إلى النصحي بما اصطنعت من ألفاظها ، وهيئات أن يقاس بعد
العامية منذ خمسين عاما ببعدها الأقل مسافة الآن . وهذا يؤيد أن
التعاون بينهما سيكون في قابل الأيام أوثق عراً وأوفر جدوى ،
لما ألمعنا إليه من التوسع في التثقيف والتعليم ، ولما ينتظر من المضي
في تجديد العربية وعلاج مشكلاتها على أى نحو يكون . وكلما ازداد
التعاون والتبادل بين لغتي الكلام والكتابة تضاءلت بينهما الفوارق
ودنت كل منهما إلى الأخرى . ومتى كملت للعربية هذه المطالب
كان لها أن تطمئن إلى حياة مديدة موصولة تجارى الزمن ،
وتتطور معه ، وتتجدد به : فكما كانت العربية لغة الماضى ، وكما
بقيت لغة الحاضر ، ستظل لغة المستقبل ...

السلطان التام . ولو أضفنا إلى ذلك محور الأمية ، وشمول الثقافة ، ورقى طبقات الشعب — لألفينا لغة الحوار ترتقى وتزدهر ، وتصطبغ بصبغة فصيحة شديداً فشيئاً . وسيقوم بين لغتي الكتابة والكلام تعاون وثيق وتبادل مستمر . فلغة الكلام تمد لغة الكتابة بالفاظ حية تسرى في أساليبها دما جديداً ، ولغة الكتابة تدفع إلى لغة الكلام عبارات شريفة وكلمات منتقاة لا غناء عن استعمالها في محيط الحياة . ولقد بدأنا نلمس أثر هذا التعاون والتبادل في أياضنا الراهنة ، ومن أمثلة ما دفعته لغة الكتابة إلى لغة الحوار ، كلمات : الغارة ، والمخبأ ، والإضراب ، والنقابة ، والثقافة ، والقرض . حتى لقد راض العامة ألسنتهم على استعمال القاف الغليظة لورودها في كلمات ضرورية الذبوع . فأما فيما يتعلق باستمداد لغة الكتابة من العامية ، فقد رأينا نفرأ من كتابنا الأدباء يتخيرون من الألفاظ الدارجة ما لطف وقعه ودق تعبيره ووسع تخريجه . وربما كان هذا التعاون والتبادل وئيد الخطأ ضئيل المظهر . ولكن مرد ذلك إلى ما كان من تخلف الثقافة ، وانتشار الجهالة ، والبطء في محاربة الأمية ، وعلى الرغم من ذلك يتجلى لنا

فيه يحسنون النطق الصحيح على غير علم بالقواعد أو تعلم لها .
وما أعظم هذا كسباً !... ويخيل الى أنه يحمل بنا ألا نضيع الوقت
في اختيار علامات للشكل تحل بها هذه المشكلة ، وإنما نبدأ باستعمال
الشكل في حالته الراهنة ، فنعممه في جميع الكتب التي تدارسها
دور التعليم في المكاتب الصغيرة إلى المعاهد العالية ، لا فرق في ذلك
بين كتاب جغرافي أو رياضي أو نحوي . وحين يبدأ التلميذ حياته
العلمية على هذا النحو ، ويمضي في ذلك أثناء تنقله في درجات
التعليم — لا يشب إلا قارئاً مطبوعاً على الصحة والصواب ، فتصبح
هذه الخطوة أولى خطوات تعميم الشكل وضبط اللغة ، وتقريب
نشرها بين أهلها . ولا سيما إذا تبع ذلك التوفيق في ابتكار علامات
يسهل على أيدي العمال استخدامها في جمع الحروف ، كما يسهل على
أقلام الكتاب استعمالها فيما تجرى به الأقلام .



٧ — وحينما نحني الثمرة الطيبة بتحقيق العوامل التي أسلغناها ،
وهي : تزويد اللغة وتبسيطها ، وتيسير نحوها ، وتعميم الضبط
في كلماتها — نكون قد مهدنا للعربية وسائل النمو المطرد ، واستكمال

الشكل في الحروف مشكلة فنية من حيث التطبيق والتحقيق ، وقد
 درسها كثير ، واقترحت في شأنها مقترحات مختلفة . وأغلب هذه
 المقترحات يدور على تذليل عقبات الطباعة التي تعترض الجمع بين
 علامات الشكل والحروف ، حتى لا يرهق العامل ، ولا تثقل
 السطور . ولسنا هنا بصدد إثار مقترح على مقترح ، ولكننا نشير
 إلى أنه لا بد لنا من الإبقاء على مألوف الكتابة العربية ، ونبد
 التفكير في الدول عن صورة الحروف الأصلية ، حرصاً على
 صلاتنا بماضيها الأدبي والعلمي الزاخر بالتأليف مخطوطة ومطبوعة .
 وإذا وصلت هيئة فنية إلى حل هذه المشكلة باختيار علامات
 صالحة للتعميم ، فإن من الهين أن يتحمل عامل الطباعة بعض الجهد
 والمشقة في سبيل إنقاذ اللغة ، وكسب الفوائد العظيمة التي تعود
 علينا من تعميم الضبط . فإننا إذا تمثل لنا أن قارئنا العربي سيقراً
 دائماً كتابة مضبوطة نحواً وصرفاً في كل ما تقع عليه عينه من كتاب
 أو صحيفة أو مجلة أو نشرة من أى نوع كان — ارتقبنا أن تصل به
 الحال إلى أن يصبح النطق بالصواب سليقة له ومرانة . ولا يبعد
 علينا بعد فترة من الزمن أن نلمح بوارق العهد الذي كان العرب

فمثلاً لنظ « محمد » في العربية أربعة أحرف ، وفي اللغات الأجنبية ثمانية غير التنوين . وهذا النقص الحرفي بالكلمة العربية يحضر في خواطرنا أن لغتنا المكتوبة لغة اختزال ، وبرهان ذلك أن الاختزال لم يُجحد عندنا جندواه في اللغات الأجنبية . وذلك لأن الصحفي العربي إذا أراد نقل خطبة مرتجلة تسنى له ذلك لا يدع منها حرفاً . فأما الصحفي الإنجليزى فإنه يستحيل عليه نقل خطبة انجليزية تلقى إذا جهل الاختزال . والسر في هذا أن كتابتنا العربية مختزلة من تلقاء نفسها ، وإذا وفقنا إلى إدخال الشكل في بنية الحروف ، فستكون لدينا لغتان : اللغة المشكولة المكتملة ، واللغة المختزلة غير المشكولة . ولما كانت مهمتنا تيسير اللغة وتسهيلها فإن من الواجب علينا أن نفكر في مسألة ضبط الألفاظ تفكيراً جدياً عملياً ، لأن الألفاظ غير المضبوطة يختلف في نطقها القراء ، ولأنه يصدق علينا ما قيل من أننا نفهم أولاً لكي نقرأ قراءة صحيحة ، على عكس المقصود بالكتابة ، وهو أن نقرأ أولاً لكي نفهم الفهم الصحيح . فالضبط عامل ذو خطر في نشر اللغة وتعميمها ، وتشجيع النطق بها والاستفادة التامة منها . على أننا لا ننكر أن تعميم

الكتابة أول الأمر بلا نقط ، ولم يكن بالعسير على العرب أن يقرءوا غير المنقوط قراءة صحيحة بهداية السياق والفطنة وسرعة التمييز . فلما اتسع نطاق المملكة العربية ، وأقبل الأعاجم يتلقون اللغة ، وأخذت الأمة بأطراف العلوم والفنون ، وكثر تداول الكتب ، مست الحاجة إلى النقط ، ثم نشأ الضبط أو الشكل تخفيفاً لعبء الفهم وتقييداً لقواعد النحو والصرف . بيد أن هذا الشكل لم يستعمل إلا فيما خيف عليه التحريف ، كالنصوص الدينية ، وما يشكل فهمه من القطع الأدبية واللغوية . وفى وسعنا أن نحكم بأن علامات الشكل لم تكن موفقة منذ نشوئها . وإننا لو اجدون دلائل ذلك فيما كان يلجأ إليه العلماء القدامى من ضبط الألفاظ بتفسير الحركات لا بالعلامات ، إذ يقولون : بفتح الحاء المهملة ، وضم الجيم المعجمة ، وكسر التاء المثناة فوق ، وما إلى ذلك ، توخياً لدقة الضبط ، وخشية تصحيف النسخ . وعندى أن الشكل فى عصرنا الراهن ضرورى كل الضرورة ، وما هو فى الواقع إلا حروف ناقصة من الكلمة العربية حقها أن تستوفى كما فى اللغات الأجنبية ، فالحركات فى هذه اللغات حروف يطلق عليها «الحروف المصوتة»

ثانياً — تيسير النحو :

كان النحو من المشكلات التي طالما فكر في حلها الباحثون ، وذهبوا في شأنها مذاهب بين التفريط والإفراط . وفي معتقدي أنه لا سبيل لنا إلى التخلي عن النحو ، لأنه من مقومات اللغة وأصولها ، فإذا تخلينا عنه فقد هدمنا ركناً أساسياً تعود بعده اللغة فوضى تحتاج إلى ضوابط تحل محلّه . وكل ما يمكن عمله هو تصفية القواعد الكثيرة وغربلتها ، فما كان منها جوهرياً أبقيناه ، ولنتخذ من تسمح بعض النحاة الأقدمين قدوة لنا فيما نعالج من تيسير القواعد إلى الحد الممكن ، وحذف ما لا يلائم التطور العصري للغة . وأكاد أجزم بأن النحو سيمظل أساس لغة الكتابة ، حتى تتقارب لغة الكتابة والكلام . ويومئذ يقتصر على قدر ضئيل من نحو العربية . على أن مشكلة النحو في أول الأمر وآخره لم تنشأ ولم تصبح عويصة إلا نتيجة لمشكاة الضبط ، وهي مدار حديثنا فيما يلي .

ثالثاً — تعميم الضبط :

اجتازت العربية مراحل متتابعة في سبيل الرقي ، فكانت

وقد جال بخاطر بعض دعاة التبسيط اللغوى أن ينشئوا لغة مختزلة ذات ألفاظ محدودة لا تتجاوز بضعة مئات مع تأديتها لجميع المعانى ، وذلك محاكاة للغة الإنجليزية المسماة « البيسك » ، وفائدتها أن تساعد على انتشار اللغة والإقبال على تعلمها وسهولة استعمالها . والرأى عندى أن هذه اللغة لا يكتب لها النجاح ، لأن المتعلم لها لا يستطيع أن يستعمل سوى ألفاظها ، ولا أن يفهم غيرها . فإذا قرأ فلا بد أن يقرأ المكتوب بهذه اللغة وحدها ، وبذلك لا تكون له صلة باللغة الأصلية ، ولا بما تنتجها عامة أدبائها وعلمائها . وثمة عيب آخر فى اللغة المختزلة : وهو أن الألفاظ لقلتها تؤدى معانى كثيرة ، فيتميز بذب اللفظ بين أشقات المعانى ، وذلك ما يناهضه مصلحو اللغات فى الأمم . وفوق ذلك كله لا تصلح اللغة المختزلة للأدب والشعر ، لأنهما يتطلبان موسيقية لفظية ، ويقتضيان إشار تعبير على تعبير ، وكذلك بعض العلوم والفنون يستلزم دقة فى البيان لا تيسر مع قلة الألفاظ وضغطها . ولهذا أعتقد أن تيسير اللغة لا يكون بوضع لغة مختزلة ، إلا أن يراد أن تعد هذه اللغة خطوة أولية لتعلم اللغة الأصلية .

نائباً — تبسيط اللغة :

إنما يتم تبسيط اللغة بالاختصار من الألفاظ الكتابية على المؤلف المأنوس ، دون غوص على المهجور المحفو من الكلام ، إلا ما تقتضيه ضرورة التعبير عن معنى دقيق أو حقيقة جديدة لا يعبر عنها بلفظ متعارف ، على ألا نجانب السهولة والاستساعة فيما نتخذ من الألفاظ . ولندع وحشى الكلام فى بياننا ، فقد انصرم ذلك العهد الذى كانت البراعة فيه تقاس بالإلغاز فى التعبير ، وتصيّد الغريب الحوشى . وأصبح البيان الحق يدور على استعمال اللفظة المعبرة الكاشفة فى موضعها الملائم بأسلوب وضّاح لا تعقيد فيه . وكذلك تبسط اللغة بتحديد معانى الألفاظ تحديداً منطقياً ، فلا نسرف فى اصطلاح المترادف الذى يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود المعانى . وقد استطاع كتاب العصر الحديث أن يعضوا فى هذه السبيل شوطاً بعيداً ، فنحدد كثير من قيم الألفاظ ، وتعينت دلالاتها المعنوية ، وذلك من أثر التوسع الثقافى ورقى الذوق الأدبى ، والاطلاع على حقائق العلم والاجتماع .

والمشجب « للشاعة » والمعطف « للباطو » - وهذا من القديم المستحي . والكهر بائية « للترا مواي » والعجلة « للبسكليت » والتسريحة لقطعة الأثاث الخاصة بالزينة - وهذا من العامى . والسینما ، والفلم ، والديزل - وهذا من المعرب ، فتلك الألفاظ مستساغة مقبولة . فأما أمثال القرطق « للشمازت » والإرزير « للتليفون » فما لا ينتظر شيوخه وقبوله بحال . نخير لنا ألا نضيع الجهد والوقت والتجربة فيما لا غناء فيه ، ولا جدوى منه ، وانربأ بأنفسنا عما يجر علينا التهم والسخرية .

والذى يعوز اللغويين فى مشكلة الألفاظ الجديدة هو عرضها عرضاً كافياً لإشاعتها . ولا ننسى أن ما ذاع من الألفاظ فى فجر نهضتنا الحديثة كان وليد حماسة الكتاب له ، وإقبالهم عليه . وعلى الهيئة اللغوية المشرفة أن تتفنن فى عرض الألفاظ على الجمهور بمختلف الوسائل ، وفى مقدمتها الصحف والمجلات . فبالتكرار يتسنى للجمهور أن يغربل ما يعرض عليه ، وأن يأخذ ما يوائم ذوقه ، فلا يلبث كثير من هذه الألفاظ الجديدة أن يشيع ويدخل فى صميم اللغة السارية .

في الألفاظ العربية ما يؤدي كثيراً من معاني هذه الألفاظ الأجنبية عنها .

وكما يحتمل الخلاف في مسألة التعريب بين الباحثين يحتدم أيضاً في مسألة المُرَاد في العامية . فيرى فريق أنه لا يجوز لنا استضافة ما ولده عامة الناس ، وما أشاعوه على ألسنتهم من الكلمات ، وذلك كالبلالاص ، والدوار ، والحلة ، والطرحه . ويرى فريق آخر أن نتقبل كل ما جرى على ألسنة العامة من هذه المولدات . والقول المفضل فيما يبدو لي أن نتوسط في الأمر ، وأن يكون موقفنا في مسألة المعرب والمولد موقف مرونة وموازنة . وتقدير للملابسات كل لفظ ومدى الحاجة إليه . فلنشترى ، ولنستضيف من العامية ، ولنستحي القديم من الألفاظ ، ولنعرب الأجنبي ، متوخين في كل ذلك الحكمة . وحرى بنا أن ندع ذلك للهيئة اللغوية المشرفة ، على أن تراعى سهولة الألفاظ ، وموسيقية الحروف ، وخفة الصينة على السمع . ومن أمثلة الألفاظ الموفقة : السيارة « للأوتوموبيل » والدراجة « للبيكليت » والمَغْنَى « للفيلا » - وهذا من المشتق . والشطيرة « للساندوتش »

وأوانيتها ، وضروب الأثاث وما إليه ، ومظاهر الحياة الحضارية من ألعاب ومجامع ونحوها ، فهل ندخل هذه الألفاظ جميعاً في لغتنا بعد أن نخضعها لأصول التعريب ، فلفظ « الأوتوموبيل » مثلاً نجعله « التمبيل » ، و « الترامواي » نطقه « اترام » ، و « السينماتوغراف » نقوله « السينا » ؟ ذلك رأى جماعة من أولى الرأى . وفينا من يرفض التعريب ، مؤثراً اللفظ العربى الذى يؤدى المعنى الأجنبى ، إما بالاشتقاق من المواد اللغوية العربية ، وإما بإحياء الألفاظ التى نلحح الملائسة بينها وبين المعانى الجديدة ، كالسيارة « للأوتوموبيل » ، والقطار « للبابور » ، والجماز « للترامواي » والخيالة « للسينماتوغراف » . أما القائلون بالتعريب فيحتجون بأن الألفاظ الأجنبية موج زاهر ، وهيهات أن نرد اندفاعه مهما نبذل من جهد . على أن بعض هذه الألفاظ عالمى الذىوع ، وبخاصة ألفاظ العلوم والفنون ، فمن العبث الانفراد بوضع ألفاظ جديدة ، خروجاً على المتواضع عليه فى جميع اللغات . وأما الراضون للتعريب فهم يخشون أن تصبح العربية مجرد قوالب وصيغ الألفاظ الأجنبية الهاجمة ، على حين أن

ما بين العربية والعامية من البون على مر السنين ، ولا سيما إذا اُطرد رقى التحليم وشمول الثقافة . وقد يكون عن كثب منا يوم تتداني فيه العربية والعامية باستمداد كل منهما من الأخرى .

٦ - ولتحقيق هذا الهدف الجليل يجب أن نعين العربية على أن تبسط سلطانها ، وتستوفي حيويتها في ميادين الحياة العامة . وإننا لمجملون ما نراه لذلك فيما يلي :

أولاً - تزويد اللغة .

ثانياً - تبسيط اللغة .

ثالثاً - تيسير النحو .

رابعاً - تعميم الضبط .

ولنتناول كل نقطة من هذه النقاط ببعض الشرح :

أولاً - تزويد اللغة :

تغزونا المدنية العصرية بعلومها وفنونها وصناعاتها ، وتفرض نفسها علينا بالانفاظها الأجنبية التي تميزها ، كالخترعات وأجزائها ، وشتى الأدوات والعقاقير ، وصنوف المطاعم والمشارب

هـ — فما هو العائق الذى يحول دون تطور اللغة ؟ وكيف السبيل إلى رفع هذا العائق ؟ أكبر ما يعوق اللغة فيما يقولون أنها لغة كتابة لا لغة كلام ، ولو كانت لغة كلام لعاشت فى السوق والبيت ، ولنمت من تلقاء نفسها ، ولاشتقت ألفاظها من طبيعتها دون اللجوء إلى عوامل مصنوعة . وذلك شأن العامية فى أقطار الشرق ، فهى أكثر طلاقة ، لأنها ترجمان الحياة الدارجة . ولكن تلك العامية لا ضابط لها ولا نظام ، فإنها لهمجية غير مذبذبة ، وليس لها من أصول مستقرة قط ، ولا طاقة لها بالتعبير الراقى عن جلائل الأشياء فى ميادين الاجتماع . فأما لغة الكتابة ، أعنى الفصحى ، فقد انصقلت على ترادف الأيام ، وأحكمت ضوابطها فى الألفاظ والأساليب ، لأنها استعملت فى التعبير منذ أمد مديد . فهل يمكن أن تكون هذه الفصحى لغة كلام ليتم كمالها بالمعنى الواسع ؟ الواقع أننا حين نتأمل سائر اللغات الحية المعتبرة لنات كلام وكتابة معاً ، لا نعدم الفروق فيها بين الكتابة والكلام . وربما كانت هذه الفروق هينة بالإضافة إلى الفرق بين العربية وعاميتها ، ولكن الفرق فى مثل الألمانية ظاهر . ومن المحتمل أن يتضاءل

تؤدى مهمتها على وجه مرضى ، وهاهى ذى تطاوع الرقى العلمى
والأدبى والعمرانى فى العصر الحديث ، فنراها لسان الدرس على
اختلاف مراتبه ، والكتاب على تباين فنونه ، وأداة الخطابة
فى منابر القضاء والمحافل على شتى أغراضها . وحسبنا الصحافة
مصدقا لهذه الحقيقة ، فقد لانت العربية للصحف والمجلات تعبر
عن شؤون الحياة العامة والخاصة . ولا جرم أن بقاء الفصحى على
هذا النحو يكاد يعد معجزة فى عالم اللغات ، ولكنها معجزة لها
مسوغاتها الطبيعية التى لا افتعال فيها ولا قسر . فالآن يجمل بنا أن
نساعد قوى هذه اللغة على أن تتطور التطور الأوفى ، وأن نجعلها
أكثر لياناً وطواعية لتواقي مقتضيات الحضارة العلمية والأدبية
والعمرانية اليوم وغداً ، فتكون أكثر صلاحية للتعبير ، وأشد
عضداً لمواجهة الزمن القريب والبعيد . وفى سبيل هذا الهدف
الاسمى يجب أن نعتبر اللغة كائناً حياً ينمو ويتطور ، لا كائناً
أثرياً فى ذاته وفى احتفاظه بحالته . فإذا نظرنا إلى اللغة بهذا
الاعتبار لم ندخر وسعاً فى تفتيتها بالصالح المفيد ، وتخليصها من
شوائب الجمود .

بلغت حين نزوله أقصى مبلغ من قوة البيان ، وفصاحة التعبير ،
وكان القرآن موضع التحدى للعرب أن يأتوا بسورة من مثله ،
اعتبر ذلك الكتاب أسمى نمط للعربية الفصحى ، وأعلى نموذج
للبيان المعجز ، فظل القبله الخالده فى استلهاام أنصع الأساليب
لنظم الكلام . فما دام القرآن محفوظاً ، والإسلام قائماً ، وأمته
العربية موفوره ، فلن يكتب لهذه اللغة الفناء ... وذلك فى الحق
أعظم الأسباب التى صانت العربية عن الزوال فى الماضى والحاضر ،
وسيكون السبب الذى يمدّها بعوامل البقاء فى المستقبل . فأما اللاتينية
فلم يتح لها أن تكون لغة كتاب سماوى مقدس له حرمة فى اللغة ،
وله أثره فى صونها وحياطتها ، ومن ثم خضعت للناموس الطبيعى .
ولمّا يحمى العربية من مثل هذا المصير أنها كما أوضحنا لغة كتاب
مقدس يدعم عقيدة دينية راسخة ، والعقيدة ناموس طبيعى آخر
لا تستغنى عنه النفس البشرية بحال . فبقاء العربية إذن نظام يجرى
وفق سنة طبيعية بشرية صحيحة لا يعتريها التبديل .

٤ — وأقرب ما يعترض به على القائلين بجمود العربية ، وينفى
عنها شبهها باللغات الميتة ، أنها لبثت قرابة ألف وخمسمائة سنة

للكتابة والكلام ، ثم تفرقت بعد الفتوحات الرومانية لهجات عامية صارت فيما بعد لغات مستقلة متطورة حية ، وبقيت اللاتينية لغة كتابة ، إذ تغلبت عليها مشتقاتها كالفرنسية والإيطالية والأسبانية ، فضاقت محيط استعمالها ، وظلت تتضاءل وتجهد وتفقد حيويتها ، وانتهى بها الأمر إلى العزلة بين الصحائف المطوية من الكتب القديمة .

٣ — ولو تدبرنا الأمر لظهر لنا أن العربية تتميز عن اللاتينية بعنصر جوهرى يدعها فى مأمن من أن يجرى عليها ما جرى على تلك . وذلك أن العربية لغة دين سماوى ذى خطر ؛ وبها كتبت أصول هذا الدين تشريعاً وحكمة وثقافة . وعلى رأس هذه الأصول : القرآن ، معتمد المسلم ومرجعه فى شئونه الدينية وعقيدته الروحية . وقد قدس نص القرآن كما أنزل بالعربية الفصحى ، فبقيت ملازمة له ، تكاد تقدس معه نصوصها . ولما كانت العقائد الدينية راسخة فى القلوب ، على الرغم مما يقال من أن تطور المدنية سيقضى على تأثير هذه العقائد ، فإن العربية باقية بقاء الإسلام ، أى القرآن . ولما كانت لغة قرش المنزل بها القرآن

والإصلاح . ونحن يعارض بعضنا بعضاً في الأساس : هل تصلح اللغة لتكون عنوان الثقافة والحضارة لنا ؟ وهل من الصالح أن يبقى عليها لا نستبدل بها سواها ؟

٢ - والذين يشبهون العربية باللاتينية يتلمسون وجه الشبه في ناحيتين : الأولى أنها ليست إلا لغة الكتابة ، والأخرى أنها لم تتطور مع الزمن التطور الكافي للحياة والنماء ... والحق أن من أكبر مظاهر حيوية اللغة أن تكون لغة كلام ، وقد كانت العربية كذلك حقبة من الزمن ، فلما اتسعت رقعة المملكة ، وشملت ألواناً من الأمم الأعجمية ، وكثر المولدون في أقطارها ، فتمت في كل صقع لهجة عامية إلى جانب الفصحى ، كالعراقية ، والشامية ، والمصرية ، والمغربية . وحقاً من أكبر مظاهر حيوية اللغة أيضاً أن تتغير وتتطور وفق مقتضيات العصور ، فلا تصبح لغة قرن مضى لغة قرن حاضر . وقد يبدو أن تطور العربية لم يمتد إلى غاياته ، فتخلف وراء الزمن ، وما زالت لغة القرون الغابرة حسيطة على العصر الحديث . فللناس عذرهم فيما يقولون من الموازنة بين العربية واللاتينية ، لأن اللاتينية كانت لغة أصلية

١ - لغة الأمة عنوان ثقافتها وحضارتها ، ولذلك تعنى

الأهم كافة بلغاتها وتعمل على ترقيتها ، وكذلك الشأن فى العالم العربى ، وبخاصة مصر . بيد أن الحال عندنا يختلف عنه فى سائر الأمم ، فبينما نرى الهمم متجهة فيها إلى إصلاح اللغة والنهوض بها ، إذا بنا نرى أنفسنا نتجه بهممنا اتجاها أبعد مدى ، فإننا حيال مشكلة يخوض فى حديثها المفكرون ، فيتساءلون : هل تصلح لغتنا العربية أن تكون أداة لمسيرة الحضارة ؟ وهل تضطلع بما يطلب منها للتعبير عن مقتضيات العلم والفن والصناعة ؟ وهل يرجع التقصير إليها لا إلينا ؟ وهل هى من اللغات الميتة التى يفقد أثرها كاللاتينية ؟ والذين يتساءلون هذه الأسئلة ينادون بوجوب اتخاذ لغة تحمل حل العربية ، ويرشحون العامية لهذا المحل ، إذ يعتقدون أن ماجرى على اللاتينية من القانون الطبيعى سيجرى على العربية حتما . ومن ثم يظهر لنا جلياً أننا مختلفون فى موضوع اللغة عن غيرنا : هم متوافقون على الأساس ، ماضون فى التغيير

قضية اللغة العربية



PJ

6071

T3

190112

Mushkilat.

مشكلات اللغة العربية

تأليف

محمود محمود

عضو مجمع اللغة العربية

ماتزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعها بالحماس ٩١٩٣٧٧

المطبعة النصوصية

سكة الشاوي بالحملة الجديدة

**PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET**

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

محمود تيمور

مشكلات اللغة العربية

مكتبة الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها بالاسكندرية ٩١٩٣٧٧

المطبعة النسخية

أسكنة الفتاح بولي بالحلمية الجديدة

IC
12/9/81

**PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET**

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

